اختيارات ابن القيم في السيرة النبوية
المرحلة المكية
تعليق وتحقيق ومقارنة

تأليف

عبد السلام بن محسن آل عيسى

الأستاذ المشارك

بقسم التاريخ الإسلامي بكلية الدعوة و أصول الدين

بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

من ٣٥١ إلى ٤٥٦

المستخلص العربي

اختيارات ابن القيم في السيرة النبوية المرحلة المكية
تعليق وتحقيق ومقارنة

تتركز هذه الدراسة على واحدة من الموضوعات المهمة التي تخص دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وفهمها من أفضل ما اشتغل به المسلم وطالب العلم لأنها موضع الأسوة والقدوة التي أمرنا بها .

ولقد أولى السلف الصالح رضوان الله عليهم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم عناية كبيرة ، فألفوا فيها المؤلفات التي تحوي أحداثها فقط ، منذ القرن الأول الهجري ، ثم توالت التآليف في السيرة النبوية في القرون الثلاثة المفضلة وما بعدها ، وكان ممن كتب في السيرة وتناول موضوعتها بالشرح والتفصيل والتحليل الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه القيم (زاد المعاد في هدي خير العباد) ونظرا لمكانة ابن القيم الدينية و العلمية في الأمة ،وتبحره في العديد من العلوم وسعة اطلاعه ، وثناء جهابذة العلماء من السلف الصالح ، ومن سار على منهجهم قديما وحديثاً عليه ، فقد كان لاختياراته في أحداث السيرة النبوية وما انفرد به في كتابه زاد المعاد أهمية كبيرة ، لذلك رأيت أن أقوم بإبراز تلك الاختيارات وتوثيقها ، ومقارنتها بما أورده ابن اسحاق وعدد من كبار مصنفي السير من المتقدمين ، وقد اقتصرت على المرحلة المكية لاحتوائها على أحداث مفيدة وهامة ، وهي كافية لتناولها في مثل هذه البحوث ، ولأن تناول المرحلة المدينة يطول فيه البحث ، ويكفي لرسالة علمية .

والمنهج المتبع للدراسة تعليق وتحقيق ومقارنة

Abstract Form
English Abstract
Ibn Al-qayyim choices in the Meccan phase biography
Comment and compare

This study concentrated on one of the important subjects that concern Study the biography of the Prophet Allah upon him and understood better what dabble Muslim and students because they recognize the position and role models that hurry her.

And Allah has good advances first Radwan them Allah bless Prophet upon him very carefully, where they wrote books that contain only events since the first century and then rolled authoring in biography in your favorite three centuries and beyond, was written in her written commentary addressed biography and To detail and analysis Ibn jawziyyah write values (zaad el ma'ad) because of where he is the son of the nation's scientific and religious values, and his knowledge in many science can keep it, and praise the geniuses of the scientists of the salaf, and marched on their old & new, have options. In the events of biography and get next to him in his book zaad great importance, so I thought I would highlight those selections and documented, and compared with the son of Isaac and compilers from applicants, have been confined to the meccan phase because it contains useful and important events, are sufficient to address In such research, and to deal with its long research city stage, enough for a thesis.

And the approach to study comment and compare

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، أما بعد :

فإن دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وفهمها من أفضل ما اشتغل به المسلم وطالب العلم لأنها موضع الأسوة والقدوة التي أمرنا بها ، قال تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1] ولقد أولى السلف الصالح رضوان الله عليهم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم عناية كبيرة ، فألفوا فيها المؤلفات التي تحوي أحداثها فقط ، منذ القرن الأول الهجري ، فكان أول من ألف عروة بن الزبير بن العوام ، وهو من ثقات التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة ، وعاش عروة رضي الله عنه في كنف الصحابة ، فأبوه الزبير بن العوام ، وأخوه عبد الله بن الزبير ، وأمه أسماء بنت أبي بكر ، وخالته عائشة رضي الله عنهم أجمعين ، وتوفي عروة رضي الله عنه سنة ٩٤هـ [2]، ثم توالت التآليف في السيرة النبوية في القرون الثلاثة المفضلة وما بعدها ، وكان ممن كتب في السيرة وتناول موضوعتها بالشرح والتفصيل والتحليل الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه القيم (زاد المعاد في هدي خير العباد) ونظرا لمكانة ابن القيم الدينية و العلمية في الأمة ،وتبحره في العديد من العلوم وسعة اطلاعه ، وثناء جهابذة العلماء من السلف الصالح ، ومن سار على منهجهم قديما وحديثاً عليه ، فقد كان لاختياراته في أحداث السيرة النبوية وما انفرد به في كتابه زاد المعاد أهمية

---

[1] سورة الأحزاب الآية ٢١

[2] مصادر السيرة النبوية / فاروق حماده ص ٤٦

كبيرة ، لذلك رأيت أن أقوم بإبراز تلك الاختيارات وتوثيقها ، ومقارنتها بما أورده ابن اسحاق وعدد من كبار مصنفي السير من المتقدمين ، وقد اقتصرت على المرحلة المكية لاحتوائها على أحداث مفيدة وهامة ، وهي كافية لتناولها في مثل هذه البحوث ، ولأن تناول المرحلة المدينة يطول فيه البحث ، ويكفي لرسالة علمية . والله من وراء القصد وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

خطة البحث : قسمت البحث إلى مقدمة ومبحثين أما المقدمة :

فقد تضمنت أهمية هذه الدراسة وكذلك ترجمة ابن القيم وبيان منزلته ومكانته الرفيعة في الأمة ، وكذلك نبذه عن كتابه المقصود بالبحث (زاد المعاد في هدي خير العباد) من حيث أهم ما تناوله ، وبيان أهميته وقيمته العلمية ، وحاجة كل مسلم وطالب علم إليه .

وأما المبحثان فهما كالآتي :

المبحث الأول : من ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وحتي مبعثه وفيه : أربعة مطالب :

المطلب الأول : نسبه صلى الله عليه وسلم

المطلب الثاني : تاريخ مولده صلى الله عليه وسلم ومكانه ،وختانه ، ورضاعه ، وحضانته

المطلب الثالث : وفاة والده عبد الله ، وأمه أمنة ، وجده عبد المطلب .

المطلب الرابع : كفالة أبي طالب النبي صلى الله عليه وسلم ، وزواجه صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها

المبحث الثاني : من بعثته صلى الله عليه وسلم وحتى هجرته إلى المدينة وفيه :

عشرة مطالب :

المطلب الأول : عمره صلى الله عليه وسلم حين بعث والخلاف في وقت بعثته

المطلب الثاني : مراتب الوحي

المطلب الثالث : الرؤيا المنامية قبل نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم ، وما هو أول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من الوحي

المطلب الرابع : الدعوة السرية ، وإسلام السابقين ، والجهر بالدعوة و مراتب الدعوة

المطلب الخامس : الهجرة إلى الحبشة

المطلب السادس : حصار الشعب ووفاة أبي طالب وخديجة رضي الله عنها ، وخروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، ورجوعه إلى مكة في جوار المطعم بن عدي

المطلب السابع : الإسراء والمعراج

المطلب الثامن : بيعتي العقبة الأولى والثانية

المطلب التاسع : أوائل المهاجرين

المطلب العاشر : هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر إلى المدينة

منهج البحث :

١- قمت بعرض كلام ابن القيم بنصه من كتابه زاد المعاد في المطالب التي تناولتها .

٢- لم أتناول بالبحث المواضيع التي وافق فيها ابن القيم غيره من أهل السير ولم يكن له فيها رأي أو تعليق .

٣- قارنت في الغالب بين ما ذكره ابن القيم وما ذكره عمدة أهل السير محمد بن إسحاق ، وقد أذكر ما ذكره أهل السير ، وما أوردوه من خلاف والجواب عليه .

٤- حاولت إظهار الفوائد التي أوردها ابن القيم ولم يسبق إليها

٥- ميزت قولي بقولي : أقول

٦- كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني

٧- قمت بتخريج جميع الأحاديث والآثار ونقل الحكم عليها إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما

٨- وضعت بعض الفهارس الضرورية .

الخاتمة : وذكرت فيها أهم النتائج .

(نبذة عن الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله)

اسمه ونسبه : هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي، الشيخ الإمام الفاضل المفتن شمس الدين الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية.[١] والجوزية نسبة إلى مدرسة الجوزية التي أنشأها الإمام ابن الجوزي محي الدين يوسف بن أبي الفرج المتوفى سنة ٦٥٦هـ[٢] ، وكان والد ابن القيم قيّماً عليها أي مسؤلاً ومشرفاً عليها ، ولذلك سمي ابن القيم ، ثم كان ابن القيم إمامها .[٣]

مولده : ولد في السابع من شهر صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة من الهجرة ، في قرية زرع من قرى حوران جنوب شرق دمشق تبعد عنها ٥٥ميلاً .[٤]

شيوخه : من شيوخه : سليمان بن حمزة الحاكم، وأبو بكر بن عبد الدائم، وعيسى المطعم، وأبو نصر محمد بن عماد الدين الشيرازي، وابن مكتوم، والبهاء ابن عساكر، وعلاء الدين الكندي الوداعي، ومحمد بن أبي الفتح البعلبكي، وأيوب بن نعمة الكحال، والقاضي بدر الدين بن جماعة، وجماعة سواهم ، وقرأ العربية على ابن أبي الفتح البعلي، قرأ عليه الملخص لأبي البقاء، ثم قرأ الجرجانية ، ثم قرأ ألفية ابن مالك ، وأكثر الكافية الشافية وبعض التسهيل ، ثم قرأ على مجد الدين التونسي قطعة من المقرب، وأما الفقه فأخذه عن جماعة منهم الشيخ مجد الدين إسماعيل بن محمد الحراني،

---

[١] أعيان العصر للصفدي ٤/ ٣٦٦ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٨/ ٢٨٧ ، والوافي بالوفيات للصفدي ٢/ ١٩٥

[٢] البداية والنهاية ١٣/ ١٢٦ ،والدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر الدمشقي ٢/ ٢٣

[٣] البداية والنهاية ١٣/ ١٢٦ التراث

[٤] من مقدمة تحقيق الأرنؤطان لزاد المعاد ١/ ١٥، ١٦

قرأ عليه مختصر أبي القاسم الخرقي و المقنع لابن قدامة ، ومنهم ابن أبي الفتح البعلي، ومنهم الشيخ تقي الدين بن تيمية، قرأ عليه قطعة من المحرر تأليف جده، وأخوه الشيخ شرف الدين ، وأخذ الفرائض أولاً عن والده وكان له فيها يد، ثم اشتغل على إسماعيل بن محمد، قرأ عليه أكثر الروضة لابن قدامة، ومنهم الشيخ تقي الدين بن تيمية، قرأ عليه قطعة من المحصول ومن كتاب الأحكام للآمدي ، وقرأ في أصول الدين على الهندي أكثر الأربعين و المحصل ، وقرأ على الشيخ تقي الدين بن تيمية قطعة من الكتابين، وكثيراً من تصانيفه.[١]

تلاميذه : قال ابن رجب : أخذ عنه العلم خلق كثير من حياة شيخه ،وإلى أن مات ، وانتفعوا به وكان الفضلاء يعظمونه، ويتتلمذون له، كابن عبد الهادي وغيره.[٢] ومن تلاميذه : الإمام الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب البغدادي ، وعماد الدين اسماعيل بن عمر البصروي ، والإمام الحافظ عمدة المحدثين شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة الجماعيلي ، وولديه ابراهيم وعبد الله .[٣]

علمه وثناء العلماء عليه : قال ابن كثير : وسمع الحديث واشتغل بالعلم وبرع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير والحديث والاصلين ، ولما عاد الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة لازمة إلى أن مات الشيخ ، فأخذ عنه علما جماً مع ما سلف له من الاشتغال فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً ، وكثرة الابتهال ، وكان حسن القراءة والخلق ، كثير التودد ، لا يحسد أحداً ولا

---

[١] أعيان العصر للصفدي ٤/ ٣٦٧

[٢] ذيل طبقات الحنابلة ١٧١/٥

[٣] من مقدمة تحقيق الأرنؤطان لزاد المعاد ١/ ٢٢، ٢٣

يؤذيه ، ولا يستعيبه ولا يحقد على أحد ، وكنت من أصحب الناس له ، وأحب الناس إليه ، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير ،وكتب بخطه الحسن شيئا كثيراً واقتنى من الكتب مالا يتهيأ لغيره ، تحصيل عشره من كتب السلف والخلف ، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه ، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدا ويمد ركوعها وسجودها ، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع .[١]

وقال ابن رجب الحنبلي : وتفقه في المذهب، وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين وأخذ عنه، وتفنن في علوم الإسلام ، وكان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى ، والحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله وبالعربية، وله فيها اليد الطولى ، وقد حبس مدة ، لإنكاره شد الرحال إلى قبر الخليل ، وتصدى للأشغال، وإقراء العلم ونشره ، قلت: وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة لغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة، والإنابة والاستغفار، والافتقار إلى الله، والانكسار له، والإطراح بين يديه على عتبة عبوديته لم أشاهد مثله في ذلك ، ولا رأيت أوسع منه علماً ، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أرَ في معناه مثله ، وقد امتحن وأوفي مرات ، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة ، منفرداً عنه ، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ ، وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ففتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف ، والدخول في غوامضهم ، وتصانيفه ممتلئة بذلك ، وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة. وكان أهل مكة يذكرون عنه من

---

[١] البداية والنهاية ١٤/ ٢٣٤، ٢٣٥

شدة العبادة ، وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه ، ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة ، وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة، وأشياء من تصانيفه، وغيرها.[١]

وقال ابن العماد : وتفقه في المذهب، وبرع، وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدّين وأخذ عنه ، تفنّن في علوم الإسلام. وكان عارفا بالتفسير، لا يجارى فيه ، وبأصول الدّين. وإليه فيه المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه ، لا يلحق في ذلك. وبالفقه وأصوله، والعربية، وله فيها اليد الطّولى، وبعلم الكلام، وغير ذلك. وعالما بعلم السّلوك وكلام أهل التّصوف وإشاراتهم ، ودقائقهم له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى ، قال الذهبي: في «المختص» : عني بالحديث ومتونه وبعض رجاله ، وقد حبس مدة لإنكار شدّ الرّحال إلى قبر الخليل وتصدّر للإشغال ونشر العلم ، وتفقه في المذهب، وبرع، وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدّين وأخذ عنه، صنّف تصانيف كثيرة جدا في أنواع العلوم ، وكان شديد المحبّة للعلم، وكتابته، ومطالعته، وتصنيفه، واقتناء كتبه ، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره ، فمن تصانيفه كتاب «تهذيب سنن أبي داود، وإيضاح مشكلاته، والكلام على ما فيه من الأحاديث المعلولة مجلد ، كتاب سفر الهجرتين وباب السعادتين مجلد ضخم، كتاب مراحل السائرين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين مجلدان، وهو شرح منازل السائرين لشيخ الإسلام الأنصاري، كتاب جليل القدر، كتاب عقد محكم الاحقاء بين الكلم الطيّب والعمل الصّالح المرفوع إلى ربّ السماء مجلد ضخم. كتاب شرح أسماء الكتاب العزيز مجلد، كتاب زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدي خاتم الأنبياء مجلد، كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد أربع مجلدات وهو كتاب عظيم جدا ، كتاب جلاء الأفهام في ذكر الصّلاة والسلام على خير

---

[١] ذيل طبقات الحنابلة ٥/ ١٧١- ١٥٧ التراث

الأنام وبيان أحاديثها وعللها مجلد ، كتاب بيان الدّليل على استغناء المسابقة عن التحليل مجلد، كتاب نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول مجلد، كتاب أعلام الموقعين عن ربّ العالمين ثلاث مجلدات، كتاب بدائع الفوائد مجلدان، الشافية الكافية في الانتصار للفرقة النّاجية ، وهي القصيدة النّونية في السّنّة مجلد ، كتاب الصّواعق المرسلة على الجهمية والمعطّلة مجلدان، كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح وهو كتاب صفة الجنّة مجلد ، وكتاب نزهة المشتاقين وروضة المحبين مجلد ، كتاب الدّاء والدّواء مجلد ، كتاب تحفة المودود في أحكام المولود مجلد لطيف ، كتاب مفتاح دار السعادة مجلد ضخم، كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو الفرقة الجهمية مجلد، كتاب مصايد الشيطان مجلد، كتاب الطّرق الحكمية مجلد، رفع اليدين في الصلاة مجلد، نكاح المحرم مجلد، تفضيل مكّة على المدينة مجلد، فضل العلم مجلد، كتاب عدة الصّابرين مجلد، كتاب الكبائر مجلد، كتاب حكم تارك الصّلاة مجلد، كتاب نور المؤمن وحياته مجلد، كتاب حكم إغمام هلال رمضان مجلد، كتاب التحرير فيما يحلّ ويحرم من لباس الحرير مجلد، كتاب إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان مجلد، كتاب إغاثة اللهفان في طلاق الغضبان مجلد، كتاب جوابات عابدي الصّلبان وأن ما هم عليه دين الشيطان مجلد، كتاب بطلان الكيمياء من أربعين وجها مجلد، كتاب الرّوح مجلد، الفرق بين الخلة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه مجلد، كتاب الكلم الطيب والعمل الصالح مجلد لطيف، كتاب الفتح القدسي والتحفة المكية ، كتاب أمثال القرآن ، كتاب شرح الأسماء الحسنى ، كتاب أيمان القرآن ، كتاب المسائل الطرابلسية مجلدان، كتاب الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم مجلدان، كتاب الطاعون مجلد لطيف. وغير ذلك.[١]

---

[١] شذرات الذهب ٨/ ٢٨٧. ٢٩١

وفاته :

توفي رحمه الله وقت أذان العشاء ، في ليلة الخميس ثالث عشر من شهر رجب ،سنة إحدى وخمسين وسبعمائة .[١]

(نبذة عن كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد)

تقدم ذكر منزلة ابن القيم العلمية الرفيعة وثناء العلماء عليه ثناءً جماً وعاطراً في سعة علمه ، وعلو كعبه في شتى العلوم الشرعية ، وبزه لأقرانه ، وكذلك ثناؤهم عليه في خلقه ودينه وورعه ، ولا شك أن مثل هذا العالم الفذ الجليل سوف تنعكس شخصيته على مؤلفاته ، وقد شهد بذلك أهل العلم وطلبته قديما وحديثا، فأثنوا على مؤلفاته التي تقدم ذكر بعضها، والتي اعتمد عليها غالب من جاء بعده من علماء السلف ، وهي مكتبة متكاملة في التفسير والحديث ، والسيرة النبوية والفقه ، والآداب ، واللغة ، والتاريخ ، والطب وقد بلغ عددها (٩٨) مؤلفاً[٢] ومن تلك المؤلفات : زاد المعاد في هدي خير العباد [٣]، والذي قال عنه ابن رجب : أربع مجلدات، وهو كتاب عظيم جداً .[٤] وهو جمع فيه ابن القيم بين سيرة النبي صلى الله عليه وسلم منذ ولادته وحتى وفاته ، مع ذكر الفوائد العقدية والفقهية والتربوية المأخوذة من هديه وسيرته ، إضافة إلى مباحث كثيرة في الفقه في العبادات والمعاملات ،[٥] واستخراج الحكم والفوائد ،

---

[١] المصدر السابق و الوافي بالوفيات ٢/ ١٩٧

[٢] ابن القيم حياته ، أثاره ، موارده لآبي بكر أبو زيد ص ١٩٧

[٣] ابن القيم وجهوده في خدمة السنة النبوية لجمال السيد ١/ ٢٤٦

[٤] ذيل طبقات الحنابلة ٥/ ١٧٥

[٥] وانظر السيرة النبوية الصحيحة للعمري ١/ ٦٨ وقال : وكتابه نفيس في الشمائل والآداب والفقه والمغازي فهو مزيج من ذلك كله

والفرائد التي انفرد بها رحمه الله والترجيحات بين الروايات المتعارضة ، والرد على عدد من الأقوال التي يرى عدم صوابها .

وإن مما يثير الدهشة والإعجاب بعلم هذا العلم الفذ أنه ألف هذا الكتاب ، وهو على سفر

ولهذا لا يلام رحمه إن وقع في كتابه بعض الخطأ والزلل الذي لا يخلوا منه كتاب سوى كتاب الله عز وجل .

يقول رحمه في مقدمة كتابه : وهذه كلمات يسيرة لا يستغني عن معرفتها من له أدنى همة إلى معرفة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيرته وهديه ، اقتضاها الخاطر المكدود على عجره وبجره ، مع البضاعة المزجاة التي لا تنفتح لها أبواب السدد ، ولا يتنافس فيها المتنافسون مع تعليقها في حال السفر لا الإقامة ، والقلب بكل واد منه شعبة ، والهمة قد تفرقت شذر مذر ، والكتاب مفقود ومن يفتح باب العلم لمذاكرته معدوم غير موجود ، فعود العلم النافع الكفيل بالسعادة قد أصبح ذاوياً ، وربعه قد أوحش من أهله ، وعاد منهم خاليا ، فلسان العالم قد مليء بالغلول مضاربة لغلبة الجاهلين ، وعادت موارد شفائه وهي معاطبه لكثرة المنحرفين والمحرفين ، فليس له معول إلا على الصبر الجميل وما له ناصر ولا معين إلا الله وحده وهو حسبنا ونعم الوكيل .[١]

[١] زاد المعاد ١/ ٦٩، ٧٠

المبحث الأول : من ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وحتي مبعثه

وفيه : أربعة مطالب

المطلب الأول : نسبه صلى الله عليه وسلم

ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى نسبه صلى الله عليه وسلم إلى عدنان ، فقال : هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .[١]

، وقال ابن القيم : إلى ها هنا معلوم الصحة متفق عليه بين النسابين ، ولا خلاف فيه البتة ، وما فوق عدنان مختلف فيه ،ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام ،[٢]

أقول : أما ابن اسحاق فساق نسبه صلى الله عليه وسلم إلى آدم عليه السلام ، ورواه عنه ابن هشام .[٣] ولكن الصواب فيما ذهب إليه ابن القيم ، قال ابن سعد : الأمر عندنا على الانتهاء إلى معد بن عدنان ثم الإمساك عما وراء ذلك إلى إسماعيل بن إبراهيم ، قال : أخبرنا خالد بن خداش أخبرنا عبد الله بن وهب قال أخبرنا بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قال : ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء معد بن عدنان ، قال أخبرنا خالد بن خداش أخبرنا عبد الله بن وهب قال : أخبرني بن لهيعة عن أبي الأسود ، قال : سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة يقول : ما وجدنا في علم عالم ولا شعر شاعر أحدا يعرف ما وراء معد بن عدنان بثبت .[٤] وقال ابن كثير رحمه الله بعد أن ساق

---

[١] زاد المعاد ١/ ٧٠، ٧١

[٢] المصدر السابق

[٣] السيرة النبوية ١/ ٢ ، ٣

[٤] الطبقات الكبرى ١/ ٥٨

نسبه صلى الله عليه وسلم إلى عدنان : وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء .[١] وقال العمري : قد أجمع النسابون على نسبه إلى عدنان، وإن لم ينقل حديث صحيح بكامل نسبه، ولكن صحت أحاديث ببعضه، على أن من يعرف مدى اهتمام العرب بأنسابها في عصر النبوة وما قبله يدرك أن سلسلة نسبه إلى عدنان لا تحتاج إلى كبير توثيق، ما دام علماء النسب والأخبار متفقين عليها، وما دامت من المعلوم بالضرورة في ذلك العصر، ونسبه الذي يسوقه علماء النسب هو: "محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عدنان"[٢]

[١] السيرة النبوية ١/ ١٨٨

[٢] السيرة النبوية الصحيحة ١/ ٩٠

المطلب الثاني : تاريخ مولده صلى الله عليه وسلم ومكانه ،وختانه ، ورضاعته ، وحضانته

وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : تاريخ مولده صلى الله عليه وسلم ومكانه

قال ابن القيم : لا خلاف أنه ولد صلى الله عليه وسلم بجوف الكعبة ، وأن مولده كان عام الفيل ، وكان أمر الفيل تقدمة قدمها الله لنبيه وبيته ،وإلا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب ، وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة إذ ذاك لأنهم كانوا عباد أوثان .[١]

أقول : حدد ابن اسحاق وابن هشام يوم مولده صلى الله عليه وسلم وهو يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل .[٢]

وأما مكان الولادة فلم يذكره ابن اسحاق ، لكن ذكر ما يشعر بولادته خارج الكعبة وليس كما حكى ابن القيم الاجماع ، فقال ابن هشام : قال ابن اسحاق : فلما وضعته أمه صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى جده عبد المطلب .....إلى أن قال : فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة ....الخ [٣]

وقال السهيلي : وولد بالشعب ، وقيل بالدار التي عند الصفا ، وكانت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج ، ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجت .[٤]

---

[١] زاد المعاد ١/ ٧٤/ ٧٥

[٢] السيرة النبوية ١/ ١٥٨

[٣] المصدر السابق ١/ ١٦٠

[٤] الروض الأنف ١، ١٨٤

أقول : وأما قول ابن القيم رحمه الله تعالى : لا خلاف أنه ولد بجوف الكعبة ، فلم أطلع على أي ممن صنف في السير فيما وقفت عليه من ذكر أنه صلى الله عليه وسلم ولد في جوف الكعبة ، بل قال الحلبي في سيرته : لكن في النور ، حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة ، ولا يعرف ذلك لغيره ، وأما ما روي من أن علياً ولد فيها فهو ضعيف عند العلماء .[١] ونفى الزرقاني أن يكون صلى الله عليه وسلم ولد في جوف الكعبة .[٢]

المسألة الثانية : ولادته صلى الله عليه وسلم مختونا

قال ابن القيم : وقد اختلف فيه على ثلاثة أوجه ، أحدها : أنه ولد مختونا مسروراً ، وروي في ذلك حديث لا يصح ،ذكره ابن الجوزي في الموضوعات [٣]، وليس فيه حديث ثابت ، وليس هذا من خواصه ، فإن كثيرا من الناس يولد مختوناً . القول الثاني : أنه ختن يوم شق قلبه الملائكة عند ظئره حليمة . القول الثالث : القول الثالث أن جده عبدالمطلب ختنه يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدا ، قال أبو عمر بن عبدالبر وفي هذا الباب حديث مسند غريب حدثناه أحمد بن محمد بن أحمد حدثنا محمد بن عيسى حدثنا يحيى ابن أيوب العلاف حدثنا محمد بن أبي السري العسقلاني حدثنا الوليد ابن مسلم عن شعيب عن عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس أن عبدالمطلب ختن النبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعه وجعل له مأدبة وسماه محمدا صلى الله عليه وسلم قال يحيى بن أيوب طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد

---

[١] السيرة الحلبية ١/ ٢٠٢

[٢] شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ١/ ٢٤٨

[٣] الحديث هو ما روي من قوله صلى الله عليه وسلم : من كرامتي اني ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتي قال ابن الجوزي : تفرد به سفيان قال ابن عدي كان يسرق الأحاديث ويسوي الأسانيد وفي حديثه موضوعات . العلل المتناهية ١/ ١١٧

من أهل الحديث ممن لقيته إلا عند ابن أبي السري وقد وقعت هذه المسألة بين رجلين فاضلين صنف أحدهما مصنفا في أنه ولد مختونا وأجلب فيه من الأحاديث التي لا خطام لها ولا زمام وهو كمال الدين ابن طلحة[١] فنقضه عليه كمال الدين بن العديم[٢] وبين فيه أنه صلى الله عليه وسلم ختن على عادة العرب وكان عموم هذه السنة للعرب قاطبة مغنيا عن نقل معين فيها والله أعلم .[٣]

أقول : لم يذكر ابن اسحاق رحمه الله مسألة ختان النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد في هذا حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كرامتي على ربي أني ولدت مختونا ، ولم ير سوأتي أحد . وقد تقدم بيان ضعفه ، وروي عن ابن عمر قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسروراً مختوناً . وروي كذلك عن ابن عباس عن أبيه العباس قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختونا مسرورا فأعجب ذلك جده عبدالمطلب وحظى عنده وقال ليكونن لابني هذا شأن فكان له شأن . قال ابن كثير رحمه الله : وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق حتى زعم بعضهم أنه متواتر وفي هذا كله نظر ، وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبدالرحمن بن عيينه البصري حدثنا علي بن محمد المدائني السلمي حدثنا سلمة بن محارب بن مسلم بن زياد عن أبيه عن أبي بكرة أن جبريل ختن النبي صلى

---

[١] هو : كمال الدين أبوسالم محمد بن طلحة بن محمد القرشي العدوي الشافعي ، روى عنه الدمياطي ومجد الدين بن العديم ت ٦٥٢هـ سير أعلام النبلاء ٢٣، ٢٩٣

[٢] هو : عمر بن أحمد بن أبي الفضل القيسي الهوازني العقيلي ، الصاحب العلامة ، قال الذهبي جمع تاريخا كبيرا لحلب أحسن فيه ما شاء الله .ت ٦٦٠هـ تاريخ الإسلام ٤٨/ ٤٢٤

[٣] زاد المعاد ١/ ٨٠، ٨١

الله عليه وسلم حين طهر قلبه وهذا غريب جدا وقد روى أن جده عبدالمطلب ختنه وعمل له دعوة جمع قريشا عليها والله أعلم .[١] ، وكأن الصالحي مال إلى ترجيح ولادته صلى الله عليه وسلم مختونا مسروراً [٢]وقال العمري : الأحاديث في ذلك (أي ولادة النبي صلى الله عليه وسلم مختونا مسروراً) كلها معلولة بعلل قادحة بحيث لا تنهض مجتمعة للاحتجاج بها لأن معظمها لا يخلوا من وضاع أو متهم .[٣]

المسألة الثالثة : مرضعاته صلى الله عليه وسلم

قال ابن القيم : فمنهن ثويبة مولاة أبي لهب أرضعته أياما وأرضعت معه أبا سلمة عبدالله بن عبد الأسد المخزومي[٤] بلبن ابنها مسروح وأرضعت معهما عمه حمزة بن عبدالمطلب [٥]واختلف في إسلامها فالله أعلم

ثم أرضعته حليمة السعدية بلبن ابنها عبدالله أخي أنيسة وجدامة وهي الشيماء أولاد الحارث بن عبدالعزى بن رفاعة السعدي واختلف في إسلام أبويه من الرضاعة فالله أعلم وأرضعت معه ابن عمه أبا سفيان ابن الحارث بن عبدالمطلب وكان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم عام الفتح وحسن إسلامه ، وكان معه حمزة مسترضعا في بني سعد بن بكر فأرضعت أمه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند أمه حليمة فكان

---

[١] السيرة النبوية ١/ ٢٠٩ ، ٢١٠

[٢] سبل الهدى والرشاد ١/ ٣٤٧

[٣] السيرة الصحيحة ١/ ٩٩

[٤] رواه البخاري في الصيح / باب وأمهاتكم الاتي أرضعنكم

[٥] رواه البخاري في الصحيح / باب وأمهاتكم الاتي أرضعنكم ، وليس فيه تصريح باسم المرضعة .

حمزة رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهتين من جهة ثويبة ومن جهة السعدية .[١]

أقول : وأما ابن اسحاق فلم يذكر مرضعاً له سوى حليمة السعدية .[٢] وذكر ابن اسحاق اخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع الشيماء وهي : حذافة بنت الحارث بن عبد العزى .[٣]

وتقدم ان ابن القيم ذكرها باسم جدامة ، وكذلك ذكرها ابن حجر في الإصابة ، وقال: وجزم به ابن سعد .[٤]

وأما قول ابن القيم بأن حمزة بن عبد المطلب كان مسترضعاً في بني سعد ، وأن أمه من الرضاع أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم حينما كانت حليمة ترضعه فلم أقف عليه فيما بحثت عند علماء السيرة المتقدمين ، وانما ذكره المقريزي في امتاع الأسماع [٥]، والحلبي في السيرة الحلبية [٦]، ومن المعاصرين المباركفوري في الرحيق المختوم [٧]. ولم أقف على مستند من ذكر ذلك من المتقدمين والمتأخرين .

---

[١] زاد المعاد ١/ ٨١

[٢] السيرة النبوية ١/ ١٦٠- ١٦٥

[٣] المصدر السابق ١/ ١٦١

[٤] الإصابة / ترجمة جدامة

[٥] ١/ ١٢

[٦] ١/ ١٢٥

[٧] ص ٤٥، ٤٦

المطلب الثالث : وفاة والد النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وأمه أمنة ، وجده عبد المطلب .

المسألة الأولى : وفاة والده صلى الله عليه وسلم

قال ابن القيم : واختلف في وفاة أبيه عبد الله ، هل توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل ، أو توفي بعد ولادته ؟ على قولين أصحهما أنه توفي ورسول الله حمل ، والثاني : أنه توفي بعد ولادته بسبعة أشهر .[١]

أقول : ورجح ابن القيم ما ذكره ابن اسحاق ، حيث قال ابن اسحاق : ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هلك ، وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به .[٢]

وقال السهيلي : وذُكر أنه (أي والد النبي صلى الله عليه وسلم) مات أبوه وهو حمل ، وأكثر العلماء على أنه كان في المهد ، ذكره الدولابي وغيره ، وقيل : ابن شهرين ، ذكره ابن أبي خيثمة ، وقيل أكثر من ذلك .[٣]

المسألة الثانية : وفاة أمه صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب

قال ابن القيم : ولا خلاف أن أمه ماتت بين مكة والمدينة بالأبواء منصرفها من المدينة من زيارة أخواله ، ولم يستكمل إذ ذاك سبع سنين .[٤]

أقول : وقال ابن اسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين توفيت أمه أمنه .[٥]

---

[١] زاد المعاد ١/ ٧٥

[٢] السيرة النبوية ١/ ١٥٨

[٣] الروض الأنف ١/ ١٨٤

[٤] زاد المعاد ١/ ٧٥

[٥] السيرة النبوية ١/ ١٦٨

والحقيقة أنه لا خلاف بين قول ابن اسحاق ، وما ذهب إليه ابن القيم لأن عدم استكمال السبع سنوات يعني أنه مازال في الست يزيد قليلا ، والزيادة اليسيرة لا حكم لها .

المسألة الثالثة : وفاة جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب

قال ابن القيم : وكفله جده عبد المطلب ، وتوفي ولرسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ثمان سنين ، وقيل ست ، وقيل عشر .[١]

أقول : وقال ابن اسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه ثمان سنين هلك عبد المطلب بن هاشم ، وذلك بعد عام الفيل بثمان سنين، وقال : حدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس عن بعض أهله : أن عبدالمطلب توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثماني سنين .[٢]

وما ذكره ابن القيم رحمه الله من الاختلاف في سن النبي صلى الله عليه وسلم أوردته مصادر السيرة ،والتاريخ فعند الفسوي أنه كان ابن ثمان أو أقل .[٣] وعند ابن الجوزي ثماني سنين وشهرين وعشرة أيام .[٤] وونقل ابن جماعة عن شرف الدين الدمياطي أنه ابن ثماني سنين ، قال : وجزم به ، وهو المشهور ، وقيل : توفِّي عبد المطّلب ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ستُ سنين ، وقيل : عشرٌ ، وقيل : ثلاثٌ ، وهو أبعد الأقوال .[٥] ونقل تلك الأقوال الصالحي .[٦]

---

[١] زاد المعاد ١/ ٧٥

[٢] السيرة النبوية ١/ ١٦٩

[٣] المعرفة والتاريخ ٤/ ١١٦

[٤] صفة الصفوة ٦٦/١

[٥] المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ١/ ٢٨

[٦] سبل الهدى والرشاد ٢/ ١٣٥

المطلب الرابع : كفالة أبي طالب النبي صلى الله عليه وسلم ، وزواجه صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها

المسألة الأولى : كفالة أبي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن القيم : ثم كفله عمه أبو طالب ، واستمرت كفالته له ، فلما بلغ ثنتي عشرة سنة خرج به عمه إلى الشام ، وقيل : كانت سنه تسع سنين ، ثم ذكر خبر وقصة الراهب في بلاد الشام ، وقال : ووقع في كتاب الترمذي وغيره أنه بعث معه بلالاً وهو من الغلط الواضح فإن بلالاً إذ ذاك لعله لم يكن موجوداً ، وإن كان فلم يكن مع عمه ،ولا مع أبي بكر ، وذكر البزار في مسنده هذا الحديث ولم يقل : وأرسله معه عمه بلالاً ، ولكن قال : رجلاً .[١]

أقول : ولم يرجح ابن القيم قولاً في تحديد عمره حين خروجه إلى الشام مع عمه

وأما الحديث الذي رواه الترمذي والمتعلق بخروج النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه إلى الشام فقد رواه الترمذي في سننه في كتاب المغازي ، باب ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ، قال الذهبي حديث منكر جداً ثم أورد عليه عدة انتقادات .[٢] وقد صحح الخبر الألباني ، وقال : صحيح لكن ذكر بلال فيه منكر .[٣]

وقال ابن حجر : أخرجها الترمذي ...وزاد فيها لفظة منكرة وهي قوله واتبعه أبو بكر بلالا وسبب نكارتها أن أبا بكر حينئذ لم يكن متأهلا ولا اشترى يومئذ

---

[١] زاد المعاد ١/ ٧٥

[٢] تاريخ الإسلام ١/ ٥٦- ٥٨

[٣] صحيح سنن الترمذي ٣/ ١٩١

بلالا الا أن يحمل على أن هذه الجملة الأخيرة مقتطعة من حديث آخر أدرجت في هذا الحديث وفي الجملة هي وهم من أحد رواته .[١]

وأما ابن اسحاق، فلم يذكر عمره صلى الله عليه وسلم حين خرج به عنه إلى بلاد الشام .[٢] وكذلك لم يذكر إعادة أبي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وبلالاً وإنما فيه أن أبا طالب رجع بنفسه بالنبي صلى الله عليه وسلم مسرعاً .[٣]

وما ذكره ابن القيم من تحديد عمره بالثانية عشرة ، رواه ابن سعد من طريق الواقدي [٤]

وما ذكره من أنه روي أنه ابن تسع نقله الطبري من طريق هشام بن محمد الكلبي .[٥]

المسألة الثانية : زواجه صلى الله عليه وسلم من خديجة

قال ابن القيم : فلما بلغ أي النبي صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة خرج إلى الشام في تجارة ، فوصل إلى بصرى ، فتزوج عقب رجوعه خديجة بنت خويلد ، وقيل تزوجها وله ثلاثون سنة ، وقيل إحدى وعشرون سنة ، وسنها أربعون ، وهي أول امرأة تزوجها ...الخ

أقول : ذكر ابن اسحاق أن عمر النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة ،ولم يذكر سن خديجة حين تزوجها النبي صلى الله عليه

---

[١] الإصابة ١/ ٣٥٣ التراث

[٢] السيرة النبوية ١/ ١٨٠- ١٨٣

[٣] المصدر السابق

[٤] الطبقات الكبرى ١/ ١٥٤

[٥] تاريخ الطبري ١/ ٥١٩

وسلم .[١] وروى ابن سعد عن الواقدي أنها كانت ابنة أربعين سنة .[٢] ، ونقل عن الكلبي أنها كانت ابنة ثمان وعشرين سنة [٣]

وأما قول ابن القيم : وقيل تزوجها وله ثلاثون سنة ، فقد نقله الزبيري عن أبي بكر بن عثمان اليربوعي وغيره من أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة بنت خويلد ، وهي أول امرأة تزوجها وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة .[٤] ، وأما قوله : وقيل إحدى وعشرون سنة أي عمر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد نقله البلاذري ، وقال : ولما جاوزت سن رسول الله صلى الله عليه وسلم العشرين ، قال له أبو طالب .....الخ [٥] وقال البلاذري : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي ابن أربعين سنة، وذلك الثبت عند العلماء .[٦]

المسألة الثالثة : عمله صلى الله عليه وسلم بالتجارة :

قال ابن القيم : وباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واشترى، وكان شراؤه بعد أن أكرمه الله تعالى برسالته أكثر من بيعه ، وكذلك بعد الهجرة لا يكاد يحفظ عنه البيع إلا قضايا يسيرة أكثرها لغيره كبيعه القدح ، والحلس فيمن يزيد ، وبيعه يعقوب المدبر غلام أبي مذكور، وبيعه عبدا أسود بعبدين ،وأما شراؤه فكثير، وآجر واستأجر، واستئجاره أكثر من إيجاره ، وإنما يحفظ عنه أنه أجر نفسه قبل النبوة في رعاية الغنم ،وأجر نفسه من خديجة في سفره بمالها إلى

---

[١] السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٨٧

[٢] الطبقات الكبرى ١/ ١٣١

[٣] المصدر السابق ١٤/٨

[٤] المنتخب من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ١/ ٣٢

[٥] أنساب الأشراف ١/ ٩٧

[٦] المصدر السابق ١/ ٩٧، ٩٨

الشام ...قال: وقد أخرج الحاكم في مستدركه من حديث الربيع بن بدر عن أبي الزبير عن جابر قال آجر رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه من خديجة بنت خويلد سفرتين إلى جرش كل سفرة بقلوص وقال صحيح الإسناد [١]، قال في النهاية : جرش بضم الجيم وفتح الراء من مخاليف اليمن ،وهو بفتحهما بلد بالشام ، قلت إن صح الحديث فإنما هو المفتوح الذي بالشام [٢]،ولا يصح ، فإن الربيع بن بدر هذا هو عليلة ضعفه أئمة الحديث قال النسائي والدارقطني والأزدي : متروك ،وكأن الحاكم ظنه الربيع بن بدر مولى طلحة بن عبيد الله ، وشارك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما قدم عليه شريكه قال : أما تعرفني ؟ قال : أما كنت شريكي ، فنعم الشريك كنت لا تداري، ولا تماري.[٣] وتدارىء بالهمزة من المدارأة وهي مدافعة الحق ، فإن ترك همزها صارت من المدارة وهي المدافعة بالتي هي أحسن .[٤]

أقول : هذا كل ما ذكره ابن القيم من حياته صلى الله عليه وسلم في مكة قبل البعثة ، ولا شك أن ترك أحداثاً كثيرة ذكرها ابن هشام وغيره مثل مشاركته صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول ، وحرب الفجار ، ومشاركته في بناء الكعبة ، وحراسة السماء بالشهب وإخبار الكهان والرهبان بقرب مبعثه صلى الله عليه وسلم .

---

[١] قال العمري : وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي ، وفيه تدليس أبي الزبير ، وقد عنعن ، فالسند ضعيف . السيرة النبوية الصحيحة ١/ ١١٢

[٢] ونقل الصالحي كلام ابن القيم / سبل الهدى والرشاد ٩، ١٣ وذهب الحلبي إلى أن جرش هي سوق حباشة ، وهي باليمن / السيرة الحلبية ١، ٢٢١

[٣] رواه أحمد في المسند ح ١٥٥٠٥ / التركي وقال محققوه : إسناده ضعيف ، وقالوا وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

[٤] زاد المعاد ١/ ١٥٤، ١٥٥ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ٩١٧ وشريكه صلى الله عليه وسلم هو السائب بن أبي السائب رضي الله عنه .

المبحث الثاني : من البعثة وحتى الهجرة إلى المدينة وفيه :

المطلب الأول : عمره صلى الله عليه وسلم حين بعث والخلاف في وقت بعثته

قال ابن القيم : فلما كمل له أربعون أشرق عليه نور النبوة وأكرمه الله تعالى برسالته وبعثه إلى خلقه واختصه بكرامته وجعله أمينه بينه وبين عباده ولا خلاف أن مبعثه صلى الله عليه وسلم كان يوم الإثنين واختلف في شهر المبعث فقيل لثمان مضين من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل هذا قول الأكثرين وقيل بل كان ذلك في رمضان واحتج هؤلاء بقوله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [1] قالوا أول ما أكرمه الله تعالى بنبوته أنزل عليه القرآن وإلى هذا ذهب جماعة منهم يحيى الصرصري[٢] حيث يقول في نونيته وأتت عليه أربعون فأشرقت شمس النبوة منه في رمضان والأولون قالوا إنما كان إنزال القرآن في رمضان جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة ثم أنزل منجما بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة ، وقالت طائفة أنزل فيه القرآن أي في شأنه وتعظيمه وفرض صومه وقيل كان ابتداء المبعث في شهر رجب .[٣]

---

[١] سورة البقرة الآية ١٨٥

[٢] هو يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور أبو زكريا فال ابن كثير : الفاضل المادح الحنبلي الضرير البغدادي الصرصري نسبة إلى صرصر قرية على فرسخين من بغداد ، معظم شعره في مدح رسول الله وديوانه في ذلك مشهور معروف غير منكر ويقال إنه كان يحفظ صحاح الجوهري بتمامه ، قتله التتار وله من العمر ثمان وستون سنة في سنة ٦٥٦هـ البداية والنهاية ١٣/ ٢١١، وشذرات الذهب ٥/ ٢٨٥

[٣] زاد المعاد ١/ ٧٦

قال ابن القيم :وهي (أي الأربعين) سن الكمال ، قيل: ولها تبعث الرسل ، وأما يذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وله ثلاث وثلاثون ، فهذا لا يعرف له أثر متصل يجب المصير إليه .[١]

أقول : وأما ابن اسحاق ، فقد ذكر أيضاً أن الوحي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغ سن الأربعين ، وقال بأن الشهر الذي نزل فيه الوحي هو شهر رمضان .[٢] ، وأما قول ابن القيم رحمه الله واختلف في شهر المبعث فقيل لثمان مضين من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل هذا قول الأكثرين وقيل بل كان ذلك في رمضان ، ويرى الصالحي أن المشهور عند الجمهور هو شهر رمضان ، فقد قال : والمشهور عند الجمهور كما قال الحافظان ابن كثير وابن حجر أنه صلى الله عليه وسلم بعث في شهر رمضان . وصححه الإمام علاء الدين علي بن محمد الخازن . زاد الحافظ : لما تقدم أنه الشهر الذي جاء فيه إلى حراء فجاءه الملك . وعكس ابن القيم فقال في زاد المعاد : قيل إنه بعث لثمان مضين من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل . وهذا قول الأكثرين . ثم حكى أنه كان في رمضان .[٣]

وأما دليل ما ذكره ابن القيم من أنه لا خلاف أن مبعثه صلى الله عليه وسلم كان يوم الإثنين هو ما رواه مسلم : أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الإثنين ، فقال : ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم بعثت أو أنزل علي فيه .[٤] وأما قول ابن القيم : أن سن الأربعين هي سن الكمال ،وقيل لها تبعث الرسل ، فيشهد له قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ

---

[١] زاد المعاد ١/ ٨٢

[٢] السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٣٣-٢٣٦

[٣] سبل الهدى والرشاد ٢/ ٢٢٦

[٤] الصحيح / باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر

أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[1]

وقول ابن القيم : وهي سن الكمال ، قيل ولها تبعث الرسل ، ذكره الزيلعي وقال : ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين ، قلت غريب .[٢] ، وقال الحلبي : قال في الكشاف ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة هذا كلام الكشاف ، وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث ، أو أربع وثلاثين سنة أي ومعلوم أنه دعا إلى الله قبل ذلك فهو قول شاذ حكاه وهب بن منبه عن النصارى .[٣]

المطلب الثاني : مراتب الوحي

قال ابن القيم : وكمل الله له من مراتب الوحي مراتب عديدة :

إحداها : الرؤيا الصادقة وكانت مبدأ وحيه صلى الله عليه وسلم وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .[٤]

الثانية : ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته .[٥]

---

[١] سورة الأحقاف الآية ١٥

[٢] تخريج الآحاديث والآثار ٣/ ٢٧

[٣] السيرة الحلبية ١/ ٣٦٣

[٤] رواه البخاري في الصحيح / باب بدء الوحي

[٥] رواه البزار في مسنده / البحر الزخار ٧/ ٣١٤ الشامله ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١/ ٣٨٤٨

الثالثة : أنه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانا .[١]

الرابعة : أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس[٢] وكان أشده عليه فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها[٣] .

الخامسة : أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك في سورة النجم[٤] .

السادسة : ما أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها .

السابعة : كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك كما كلم الله موسى ابن عمران وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعا بنص القرآن وثبوتها لنبينا صلى الله عليه وسلم هو في حديث الإسراء .

وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة : وهي تكليم الله له كفاحا من غير حجاب وهذا على مذهب من يقول إنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه تبارك وتعالى وهي مسألة خلاف بين السلف والخلف وإن كان جمهور الصحابة بل كلهم مع عائشة [٥]كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمي [١]إجماعا للصحابة .[٢]

---

[١] رواه البخاري في الصحيح / باب بدء الوحي

[٢] المصدر السابق

[٣] رواه البخاري في الصحيح / باب ما يذكر في الفخذ

[٤] من قوله تعالى (ذو مرة فاستوى الآية ٦- قوله تعالى (عندها جنة المأوى) الآية ١٥

[٥] أي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه لما رواه البخاري في الصحيح عن مَسْروقٍ عن عَائشَةَ رضي الله عنها قالت من حدَّثَكَ أنَّ محَمَّدًا صلى الله عليه وسلم رأَى ربَّهُ فقَدْ كذَبَ وهو يقول) لا تدْرِكُهُ الأَبْصَارُ (ومَنْ حدَّثَكَ أَنَّهُ يَعلَمُ الغَيْبَ فقَدْ كذَبَ وهو يقول لا يَعلَمُ

أقول : وقد ذكر هذه المراتب قبل ابن القيم السهيلي[٣] وفيها بعض اختلاف وزيادة تفصيل ، ولم يذكر المرتبة الثامنة .

المطلب الثالث : الرؤيا المنامية قبل نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم ، وما هو أول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من الوحي

قال ابن القيم : وأول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر النبوة الرؤيا ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، قيل وكان ذلك ستة أشهر ، ومدة النبوة ثلاث وعشرون سنة ، فهذه الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة [٤]. والله أعلم

أقول : يشير ابن القيم في ذلك إلى ما رواه البخاري من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :الرُّؤيَا الحَسَنَةُ من الرّجُلِ الصّالِحِ جُزءٌ من سِتّةٍ وَأَربَعِينَ جُزءًا من النُّبُوّةِ .[٥]

قال ابن القيم : ثم أكرمه الله تعالى بالنبوة فجاءه الملك وهو بغار حراء وكان يحب الخلوة فيه فأول ما أنزل علي ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [٦] هذا قول عائشة والجمهور [٧]

الغَيْبَ إلا الله .رواه البخاري في الصحيح / باب قول الله تعالى (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)

[١] انظر قوله في كتابه نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي ٢/ ٧٣٨

[٢] زاد المعاد ١/ ٧٧– ٧٩

[٣] الروض الأنف ١/ ٢٦٩

[٤] زاد المعاد ١/ ٨٣

٥٨ رواه البخاري في الصحيح / باب رؤيا الصالحين

[٦] سورة العلق الآية ١

[٧] وهو كما في رواية البخاري المشهورة في صحيحه

وقال جابر أول ما أنزل عليه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾[1] والصحيح قول عائشة لوجوه :

أحدها : أن قوله ما أنا بقارئ صريح في أنه لم يقرأ قبل ذلك شيئا .

الثاني : الأمر بالقراءة في الترتيب قبل الأمر بالإنذار، فإنه إذا قرأ في نفسه أنذر بما قرأه ، فأمره بالقراءة أولا، ثم بالإنذار بما قرأه ثانيا .

الثالث : أن حديث جابر وقوله : أول ما أنزل من القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ قول جابر ، وعائشة أخبرت عن خبره صلى الله عليه وسلم عن نفسه بذلك .

الرابع : أن حديث جابر الذي احتج به صريح في أنه قد تقدم نزول الملك عليه أولا قبل نزول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ فإنه قال : فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء ، فرجعت إلى أهلي فقلت :زملوني، دثروني ،فأنزل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾[2] وقد أخبر أن الملك الذي جاءه بحراء أنزل عليه ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ فدل حديث جابر على تأخر نزول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ والحجة في روايته لا في رأيه . والله أعلم .

أقول : ذكر ابن اسحاق أن أول ما بدء به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة ، ثم ذكر نزول الوحي ومجيء جبريل عليه السلام كما في حديث البخاري ونزول سورة إقرأ ، لكن رواية ابن اسحاق فيها أن ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم نائم [3]، وقد قال الشيخ الألباني رحمه الله إنه مرسل صحيح ، وذكر أن قول عائشة رضي الله عنها في رواية الصحيح : أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة يؤيد رواية ابن اسحاق

---

[1] سورة المدثر الآية ١

[2] رواه البخاري في الصحيح / باب وثيابك فطهر

[3] السيرة النبوية ١/ ٢٣٦

المرسلة ، وأن جبريل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مناما كالتوطئة ثم جاءه في اليقظة .[١] وهذا التخريج هو الذي ذكره السهيلي .[٢]

المطلب الرابع : الدعوة السرية ، وإسلام السابقين ، والجهر بالدعوة و مراتب الدعوة

لم يذكر ابن القيم فتور الوحي ، ولا كيف أمر النبي صلى الله عليه بالدعوة إلى الله وذكر ذلك أهل السير[٣]، وكتب السنة [٤].

المسألة الأولى : الدعوة السرية وأول من أسلم :

قال ابن القيم : وأقام صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ثلاث سنين يدعو إلى الله مستخفاً ، ثم ذكر اسلام أبي بكر الصديق ، ومن أسلم بدعوته ، ذكر ثلاثة منهم : عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم .

ثم ذكر اسلام أم المؤمنين خديجة بنت خويلد وشيئاً من حكمتها ورجاحة عقلها فقال : وبادر إلى الاستجابة له صلى الله عليه وسلم صديقة النساء خديجة بنت خويلد ، وقامت بأعباء الصديقية وقال لها: لقد خشيت على نفسي ، فقالت له : أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ، ثم استدلت بما فيه من

---

[١] صحيح السيرة النبوية ص ٨٧

[٢] الروض الأنف ١/ ٢٦٩

[٣] انظر السيرة النبوية لابن كثير ١/ ٤١٢

[٤] في صحيح البخاري : عن جابِرَ بن عبد اللهِ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنهما قال قال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فَتْرَةِ الْوحْيِ قال في حدِيثِهِ بيْنَا أنا أمْشِي سمعت صوْتًا من السّمَاءِ فرَفَعْتُ بصَرِي فإذا الْملَكُ الذي جاءَنِي بِحِراءٍ جالِسٌ على كرْسِيٍّ بين السّمَاءِ وَالأَرْضِ فَفَرقْتُ منه فَرَجَعتُ فقلت زَمّلونِي زَمّلونِي فَدَثَّروهُ فَأَنزَلَ الله تعَالَى) يا أَيّهَا الْمدَّثِّرُ قمْ فَأَنْذرْ ورَبَّكَ فَكَبّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهّرْ وَالرّجْزَ فَاهْجرْ (قال أبو سلَمَةَ وَهيَ الأَوْثَانُ التي كان أَهلُ الْجَاهلِيَّةِ يَعْبدُونَ قال ثمَّ تتَابَعَ الوَحْيُ ./ باب تفسير سورة إقرأ

الصفات الفاضلة والأخلاق والشيم على أن من كان كذلك لا يخزى أبدا، فعلمت بكمال عقلها وفطرتها أن الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والشيم الشريفة تناسب أشكالها من كرامة الله وتأييده وإحسانه ، ولا تناسب الخزي والخذلان ، وإنما يناسبه أضدادها، فمن ركبه الله على أحسن الصفات وأحسن الأخلاق والأعمال إنما يليق به كرامته ، وإتمام نعمته عليه ، ومن ركبه على أقبح الصفات وأسوا الأخلاق والأعمال إنما يليق به ما يناسبها ،وبهذا العقل والصديقية استحقت أن يرسل إليها ربها بالسلام منه[١] مع رسوليه جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم .[٢] ثم ذكر إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأنه أسلم وعمره ثمان سنوات ، وأنه كان في كفالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه في سنة محل ، وذكر اسلام ورقة بن نوفل ،وقال : وأسلم القس ورقة بن نوفل ، وتمنى أن يكون جذعا إذ يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه وفي جامع الترمذي [٣]أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه في المنام في هيئة حسنة وفي حديث آخر أنه رآه في ثياب بياض[٤] .

---

[١] يشير ابن القيم إلى ماروا ه البخاري في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أتى جِبرِيلُ النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسُولَ اللهِ هذه خدِيجَةُ قد أتَتْ معَهَا إناءٌ فيه إدامٌ أو طعَامٌ أو شرَابٌ فإذا هيَ أَتَتكَ فَاقرَأْ عليها السّلَامَ من ربّهَا ومِنّي وَبَشّرهَا بِبَيتٍ في الجَنَّةِ من قصَبٍ لا صخَبَ فيه ولا نصَبَ / باب تزويج خديجة

[٢] زاد المعاد ٣، ١٩

[٣] ولفظه : عن عَائشَةَ قالت سئِلَ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم عن ورَقَةَ فقالت له خَديجَةُ إنه كان صدَّقَكَ وَلَكنَّهُ ماتَ قبل أنْ تَظهَرَ فقال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم أرِيتُهُ في المَنَامِ وعَلَيْهِ ثيَابٌ بيَاضٌ ولَوْ كان من أهْلِ النّارِ لكَانَ عليه لبَاسٌ غيْرُ ذلك . السنن ٤/ ٥٤٠ ما جاء في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم الميزان والدلو .

[٤] زاد المعاد ٣/ ٢١

فعد ابن القيم ورقة مسلماً ومؤمناً بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وإن لم يدرك أمر الله للنبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله ، ولم أقف على من ذكر ذلك قبل ابن القيم ، وتبعه على ذلك ابن كثير .[١]

ولعل ابن القيم لم يرد حصر جميع من أسلم في هذه المرحلة السرية ،ولا ترتيبهم فعند ابن اسحاق أن أول من أسلم خديجة بنت خويلد ثم علي بن أبي طالب ثم زيد بن حارثة ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنهم ، وذكر أن ممن أسلم على يد أبي بكر رضي الله عنه أيضاً ، الزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وممن أسلم أيضاً في هذه المرحلة : أبو عبيدة عامر بن الجراح ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وعثمان بن مظعون ، وأخواه قدامة وعبد الله ،وعبيدة بن الحارث ، وسعيد بن زيد وآخرون ذكرهم ابن اسحاق .[٢]

المسألة الثانية : الجهر بالدعوة إلى الله تعالى ، وإيذاء قريش للمؤمنين :

قال ابن القيم : ثم نزل عليه﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[٣] فأعلن صلى الله عليه وسلم بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين حتى أذن الله لهم بالهجرتين .[٤]

قال : ودخل الناس في الدين واحدا بعد واحد، وقريش لا تنكر ذلك ، حتى بادأهم بعيب دينهم وسب آلهتهم ، وأنها لا تضر ولا تنفع ، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة فحمى الله رسوله بعمه أبي طالب ،لأنه كان شريفا معظما في قريش مطاعا في أهله وأهل مكة لا يتجاسرون على مكاشفته بشيء من الأذى، وكان من حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما

---

[١] فصول من السيرة ١/ ٨٥

[٢] السيرة النبوية ١/ ٢٥٠- ٢٦٢

[٣] سورة الحجر الآية ٩٤

[٤] زاد المعاد ١/ ٨٤

في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تأملها، وأما أصحابه فمن كان له عشيرة تحميه امتنع بعشيرته ، وسائرهم تصدوا له بالأذى ،والعذاب منهم عمار بن ياسر وأمه سمية وأهل بيته عذبوا في الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر بهم وهم يعذبون يقول : صبرا يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة .[١]

ومنهم بلال بن رباح فإنه عذب في الله أشد العذاب فهان على قومه وهانت عليه نفسه في الله وكان كلما اشتد عليه العذاب يقول: أحد ،أحد ، فيمر به ورقة بن نوفل، فيقول : إي والله يا بلال أحد أحد أما والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانا .[٢]

أقول : ثبت في الصحيحين أن النبي صبى الله عليه وسلم جهر بالدعوة إلى الله بعد أن نزل عليه قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [3] فصعد الصفا وهتف يا صباحاه .....الحديث [٤]ولا مانع أن يكون قوله تعالى ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[5] مما نزل أيضاً وفيه الأمر بالجهر بالدعوة ، وقد أخذ ابن القيم برواية ابن اسحاق في ذلك، مع أن ابن اسحاق ذكر أن نزول الآيتين كان سبباً لجهر النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله .[٦]

وأما ما ذكره ابن القيم من أن ورقة بن نوفل كان يمر ببلال وهو يعذب .....الخ

---

[١] رواه ابن اسحاق في السيرة النبوية ١/ ٣٩٥ وصححه المحققان همام سعيد وعبد الله ابو صعيليك .

[٢] زاد المعاد ٢، ٢١،٢٢

[٣] سورة الشعراء الآية ٢١٤

[٤] رواه البخاري في الصحيح / باب وأنذر عشيرتك الأقربين

[٥] سورة الحجر الآية ٩٤

[٦] السيرة النبوية ١/ ٢٦٢، ٢٦٣

فقد قال الذهبي : هذا مرسل وورقة لو أدرك هذا لعد من الصحابة وإنما مات الرجل في فترة الوحي بعد النبوة وقبل الرسالة كما في الصحيح .[١] وقال ابن كثير : وفيه نظر[٢] ، وقال ابن حجر : وهذا مرسل جيد يدل على ان ورقة عاش إلى أن دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام حتى أسلم بلال والجمع بين هذا وبين حديث عائشة أن يحمل قوله ولم ينشب ورقة أن توفى أي قبل أن يشتهر الإسلام ويؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بالجهاد لكن يعكر على ذلك ما أخرجه محمد بن عائذ في المغازي من طريق عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عن عكرمة عن بن عباس في قصة ابتداء الوحي وفيها قصة خديجة مع ورقة بنحو حديث عائشة وفي آخرها لئن كان هو ثم أظهر دعاءه وأنا حي لأبلين الله من نفسي في طاعة رسوله وحسن مؤازرته فمات ورقة على نصرانيته كذا قال لكن عثمان ضعيف قال الزبير كان ورقة قد كره عبادة الأوثان وطلب الدين في الآفاق وقرأ الكتب وكانت خديجة تسأله عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لها ما أراه الا نبي هذه الأمة الذي بشر به موسى وعيسى وفي المغازي الكبير لابن إسحاق وساقه الحاكم من طريقه قال حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة الثقفي وكان راعيه قال قال ورقة بن نوفل فيما كانت خديجة ذكرت له من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .[٣]

مراتب الدعوة :

قال ابن القيم : المرتبة الأولى النبوة الثانية : إنذار عشيرته الأقربين الثالثة : إنذار قومه الرابعة : إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم

---

[١] سير أعلام النبلاء ١/ ١٢٩

[٢] البداية والنهاية ٣/ ٥٨

[٣] الإصابة ٦/ ٦٠٨

العرب قاطبة الخامسة : إنذار جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر . [١]وابن القيم هو أول من ذكر هذا التقسيم .

المطلب الخامس : الهجرة إلى الحبشة

ذكرها ابن القيم مقطعة في موضعين من كتابه :

قال ابن القيم : لما كثر المسلمون وخاف منهم الكفار اشتد أذاهم له صلى الله عليه وسلم وفتنتهم إياهم فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة إلى الحبشة وقال إن بها ملكا لا يظلم الناس عنده فهاجر من المسلمين اثنا عشر رجلا وأربع نسوة منهم عثمان بن عفان وهو أول من خرج ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقاموا في الحبشة في أحسن جوار فبلغهم أن قريشا أسلمت وكان هذا الخبر كذبا فرجعوا إلى مكة فلما بلغهم أن الأمر أشد مما كان رجع منهم من رجع ودخل جماعة فلقوا من قريش أذى شديدا وكان ممن دخل عبدالله بن مسعود ، ثم أذن لهم في الهجرة ثانيا إلى الحبشة فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلا إن كان فيهم عمار فإنه يشك فيه ومن النساء ثمان عشرة امرأة فأقاموا عند النجاشي على أحسن حال فبلغ ذلك قريشا فأرسلوا عمرو ابن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة في جماعة ليكيدوهم عند النجاشي فرد الله كيدهم في نحورهم .[٢]

ثم قال ابن القيم بعد ذكره لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة : وبلغ أصحابه بالحبشة هجرته إلى المدينة ، فرجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً ، فحبس منهم بمكة سبعة وانتهى بقيتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ثم هاجر بقيتهم في السفينة عام خيبر سنة سبع .[٣]

---

[١] زاد المعاد ١/ ٨٤

[٢] المصدر السابق ١/ ٩٥

[٣] المصدر السابق ١/ ٩٩، ١٠٠

وذكر الهجرة إلى الحبشة في موضع أخر وذكر عدد من هاجر في الهجرة الأولى ، وهم اثنى عشر رجلاً ، وأربع نسوة ، وأسماؤهم ، وركوبهم سفينتين ، وذكر تاريخ الهجرة ،وأنها في رجب من السنة الخامسة ، ثم رجوعهم بعد أن بلغهم أن قريشاً كفت عن إيذاء المسلمين ، فلما وصلوا بلغهم أن قريشاً أشد عداوة من ذي قبل ، فدخلوا في بعضهم في جوار المشركين ، ونال الكثرين منهم الأذى ، فأذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الثانية ، وكان عددهم ثلاثة وثمانين إن كان فيهم عمار بن ياسر ، ومن النساء تسع عشرة امرأة ، ثم ذكر أن ممن ذكر أنه هاجر في تلك الهجرة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وجماعة ممن شهدوا غزوة بدر ، وقال : فإما أن يكون هذا وهما ،(أقول :لأن المعروف عند أهل السير والمغازي أن المهاجرين في الهجرة الثانية لم يعودوا إلى المدينة إلا بعد غزوة خيبر) وإما أن تكون لهم قدمة أخرى قبل بدر فتكون لهم ثلاث قدمات.

قال ابن القيم : قلت قد ذكر في هذه الهجرة الثانية عثمان بن عفان وجماعة ممن شهد بدرا فإما أن يكون هذا وهما وإما أن يكون لهم قدمة أخرى قبل بدر فيكون لهم ثلاث قدمات قدمة قبل الهجرة وقدمة قبل بدر وقدمة عام خيبر ولذلك قال ابن سعد وغيره إنهم لما سمعوا مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلا ومن النساء ثمان نسوة فمات منهم رجلان بمكة وحبس بمكة سبعة وشهد بدرا منهم أربعة وعشرون رجلا فلما كان شهر ربيع الأول سنة سبع من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام وبعث به مع عمرو بن أمية الضمري فلما قرىء عليه الكتاب أسلم وقال لئن قدرت أن آتيه لآتينه وكتب إليه أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت فيمن هاجر إلى أرض الحبشة مع زوجها عبيد الله بن

جحش فتنصر هناك ومات فزوجه النجاشي إياها وأصدقها عنه أربعمائة دينار وكان الذي ولي تزوجها خالد بن سعيد بن العاص ،وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه من بقي عنده من أصحابه ويحملهم ففعل وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية الضمري فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فوجدوه قد فتحها فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يدخلوهم في سهامهم ففعلوا .

ورد ابن القيم على ما ذكره ابن اسحاق من هجرة أبي موسى الأشعري مع المهاجرين في الهجرة الثانية من مكة إلى الحبشة ، قال : وقد ذكر ابن إسحاق في هذه الهجرة إلى الحبشة أبا موسى الأشعري عبد الله بن قيس وقد أنكر عليه ذلك أهل السير منهم محمد بن عمر الواقدي وغيره وقالوا كيف يخفى ذلك على ابن إسحاق أو على من دونه ، قلت وليس ذلك مما يخفى على من دون محمد بن إسحاق فضلا عنه وإنما نشأ الوهم أن أبا موسى هاجر من اليمن إلى أرض الحبشة إلى عند جعفر وأصحابه لما سمع بهم ثم قدم معهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر كما جاء مصرحا به في الصحيح[1] فعد ذلك ابن إسحاق لأبي موسى هجرة ولم يقل إنه هاجر من مكة إلى أرض الحبشة لينكر عليه .[1]

---

[1] رواه البخاري في الصحيح / باب هجرة الحبشة ، ولفظه : عن أبي مُوسى رضي الله عنه قال بلَغَنَا مخْرَجُ النبي صلى الله عليه وسلم ونَحْنُ بِالْيمَنِ فخَرَجْنَا مُهاجِرِينَ إليه أنا وأَخَوَانِ لي أنا أَصْغَرُهُمْ أَحَدُهُمَا أبو بُرْدةَ والْآخَرُ أبو رهْمٍ إمّا قال في بضْعٍ وإمَّا قال في ثلَاثَةٍ وخَمْسِينَ أو اثْنيْنِ وخَمْسِينَ رجُلًا من قوْمِي فرَكِبْنَا سفِينَةً فالقتنا سفِينَتُنَا إلى النّجَاشِيّ بِالْحبَشَةِ ووَافَقْنَا جعْفَرَ بن أبي طَالبٍ وَأَصحَابَهُ عنْدَهُ فقال جَعفَرٌ إنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بعَثَنَا ها هنا وأَمَرَنَا بالْإِقَامَةِ فَأَقِيموا معَنَا فَأَقَمنَا معه حتى قَدمْنَا جميعا فَوَافَقنَا النبي صلى الله عليه وسلم حين افْتَتَحَ خَيبَرَ فَأَسهَمَ لنا أو قال فَأَعطَانَا منها وما قسَمَ لأَحَدٍ

أما ابن اسحاق فقد ذكر الهجرة إلى الحبشة ، وذكر أن من خرج في الهجرة أولاً عشرة رجال ، وامرأتان ، ثم ذكر هجرة جعفر بن أبي طالب ثم تتابع المهاجرون ، وقال : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة ، وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صغاراً ، وولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم ،ولم يذكر ابن اسحاق أنها هجرتين ، ثم ذكر ارسال قريش وفدها لإرجاع المهاجرين وفشلها في ذلك ، ثم ذكر عودة من عاد من المهاجرين بعد ما أشيع من إسلام أهل مكة ، ولكنه ذكر ذلك بعد إسلام عمر ، وحصار قريش لبني هاشم وبني المطلب والمسلمين في شعب أبي طالب ، وذكر ابن اسحاق أن عدد من رجع كان ثلاثةً وثلاثين .[٢] أي أنهم ليسوا فقط المهاجرين الهجرة الأولى لآنهم أقل من ذلك ،لان ابن اسحاق لم يذكر هجرتين ، وإنما ذكر هجرة واحدة على دفعات [٣]، ولعل مما يؤيد ذلك حديث أم سلمة وفيه : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً

غابَ عن فَتحِ خَيبَرَ منها شيئا إلا لمَنْ شَهدَ معه إلا أَصحَابَ سَفينَتِنَا مع جَعفَرٍ وَأَصْحَابِهِ قسَمَ لهم مَعَهمْ .

صحيح البخاري جزء ٣ صفحة ١١٤٢

[١] زاد المعاد ٣/ ٢٣-٢٨

[٢] السيرة النبوية ٣٢١- ٣٦٩

[٣] السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٢١- ٣٤٠ ، ٣٦٤-٢٧٠

ومخرجاً مما أنتم فيه ، قالت فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها .[١] وكأن ابن كثير رحمه الله مال إلى ذلك .[٢]

المطلب السادس : حصار الشعب ووفاة أبي طالب وخديجة رضي الله عنها ، وخروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، ورجوعه إلى مكة في جوار المطعم بن عدي

المسألة الأولى : حصار الشعب ووفاة أبي طالب وخديجة بنت خويلد رضي الله عنها :

قال ابن القيم : فحصروه وأهل بيته في الشعب شعب أبي طالب ثلاث سنين وقيل سنتين وخرج من الحصر وله تسع وأربعون سنة وقيل ثمان وأربعون سنة وبعد ذلك بأشهر مات عمه أبو طالب وله سبع وثمانون سنة وفي الشعب ولد عبدالله بن عباس فنال الكفار منه أذى شديدا ثم ماتت خديجة بعد ذلك بيسير .

أقول : لم يذكر ابن اسحاق متى كان حصار الشعب ، ولا مدته ، ولكنه ذكره بعد الهجرة إلى الحبشة ، لكن ذكر ابن سعد ما نقله ابن القيم في زمن الحصار فروى عن الواقدي: أن الحصار استمر من هلال المحرم سنة سبع من النبوة لمدة ثلاث سنوات .[٣] وروى بسنده عن محمد بن علي أبي جعفر الباقر : أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث وأهله في الشعب سنتين .[٤]

---

[١] رواه ابن اسحاق / السيرة النبوية ٤/ ١٩٣ وقال العُمري : بإسناد حسن . السيرة الصحيحة ١/ ١٧٠

[٢] السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٥- ٥٨

[٣] الطبقات الكبرى ١/ ٢٠٨ وكذا في الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٣٧

[٤] المصدر السابق ١/ ٢١٠

وأما عمر النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج من الشعب ، وعند وفاة أبي طالب ، فقد نقل النووي عن ابن فارس قال : مات أبو طالب ولرسول الله صلى الله عليه وسلم تسع وأربعون سنة ، وثمانية أشهر ، وأحد عشر يوماً .[١] ، وفي المحبر : وأربعة وعشرين يوماً.[٢] وقال ابن حجر : أن أباطالب وخديجة توفيا في أيام متقاربة ، والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذٍ نحو الخمسين .[٣]

وفي الاستيعاب أن سن أبي طالب حين توفي بضع وثمانون سنة ، وأنه توفي بعد حصار الشعب بستة أشهر ، وتوفيت خديجة وهي ابنة خمس وستين .[٤]

وكان بين وفاة أبي طالب ووفاة خديجة رضي الله عنها ثلاثة أيام [٥]، وقيل شهر، وخمسة أيام [٦].

وهناك قول بأن خديجة توفيت قبل أبي طالب نقله ابن كثير عن محمد بن اسحاق ، قال ابن كثير : قال محمد بن اسحاق ماتت خديجة وأبو طالب في عام واحد وقال البيهقي بلغني أن خديجة توفيت بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام ذكره عبد الله بن منده في كتاب المعرفة وشيخنا أبو عبد الله الحافظ قال

---

[١] شرح النووي على مسلم ١/ ٢١٣

[٢] ١/ ١١

[٣] فتح الباري ٨/ ٥٠٧

[٤] ١/ ٣٧ ، ٣٨ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ١٨

[٥] المعارف لابن قتيبة ١/ ١٣٣، والثقات لابن حبان ٢/ ١١٤، ومعرفة الصحابة لابي نعيم ٦/ ٣٢٠١

[٦] الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ١٢٥

البيهقي وزعم الواقدي أن خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عام خرجوا من الشعب وأن خديجة توفيت قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة .[١]

ونقل الحلبي عن ابن كثير : أن المشهور أن أبا طالب مات قبل خديجة بثلاثة أيام ودفن بالحجون .[٢]

المسألة الثانية : خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، ودعائه ، وبعث الله تعالى إليه ملك الجبال ، ورجوعه إلى مكة في حماية المطعم بن عدي

قال ابن القيم : فلما نقضت الصحيفة وافق موت أبي طالب ، وموت خديجة وبينهما يسير، فاشتد البلاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفهاء قومه ، وتجرؤوا عليه فكاشفوه بالأذى ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف رجاء أن يؤووه وينصروه على قومه ويمنعوه منهم ، ودعاهم إلى الله عز وجل ،فلم يرمن يؤوي ولم ير ناصرا، وآذوه مع ذلك اشد الأذى ، ونالوا منه ما لم ينله قومه، وكان معه زيد بن حارثه مولاه ، فأقام بينهم عشرة أيام لا يدع أحدا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه ، فقالوا : اخرج من بلدنا ، وأغروا به سفهاءهم، فوقفوا له سماطين ، وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه ، فانصرف راجعا من الطائف إلى مكة محزونا ، وفي مرجعه ذلك دعا بالدعاء المشهور دعاء الطائف : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ،وقلة حيلتي ،وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين ،أنت رب المستضعفين ،وأنت ربي ،إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني ،أو إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ،أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي ،وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين ،غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرفت له

---

[١] البداية والنهاية ٣/ ١٢٧

[٢] السيرة الحلبية ٢/ ٤٠

الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ،أن يحل علي غضبك ،أو أن ينزل بي سخطك ،لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك . فأرسل ربه تبارك وتعالى إليه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة ،وهما جبلاها اللذان هي بينهما، فقال: لا بل استأني بهم لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئا ، فلما نزل بنخلة مرجعه قام يصلي من الليل ، فصرف إليه نفر من الجن ، فاستمعوا قراءته ،ولم يشعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عليه قوله تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [1]وأقام بنخلة أياما فقال له زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم قد أخرجوك يعني قريشا، فقال: يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا، وأن الله ناصر دينه ومظهر نبيه ، ثم انتهى إلى مكة، فأرسل رجلا من خزاعة إلى مطعم بن عدي ،أدخل في جوارك، فقال : نعم، ودعا بنيه وقومه، فقال: البسوا السلاح ،وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمداً، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زيد بن حارثة، حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم بن عدي على راحلته ،فنادى: يا معشر قريش ، إني قد أجرت محمداً فلا يهجه أحد منكم فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الركن فاستلمه وصلى

[1] سورة الأحقاف الآيات ٢٩-٣٢

ركعتين وانصرف إلى بيته والمطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته .[١]

وقال في موضع أخر : فخرج إلى الطائف هو وزيد بن حارثة يدعو إلى الله تعالى وأقام بها أياما، فلم يجيبوه ،وآذوه ،وأخرجوه، وقاموا له سماطين، فرجموه بالحجارة حتى أدموا كعبيه ، فانصرف عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى مكة ،وفي طريقه لقي عداساً النصراني، فآمن به، وصدقه ،وفي طريقه أيضا بنخلة صرف إليه نفر من الجن سبعة من أهل نصيبين، فاستمعوا القرآن ،وأسلموا ،وفي طريقه تلك أرسل الله إليه ملك الجبال يأمره بطاعته وأن يطبق على قومه أخشبي مكة ،وهما جبلاها إن أراد فقال: لا ، بل أستأني بهم لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئا، وفي طريقه دعا بذلك الدعاء المشهور: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ،وقلة حيلتي ...الحديث ، ثم دخل مكة في جوار المطعم ابن عدي .[٢]

أقول : ذكر ابن اسحاق خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس نصرة ثقيف بعد أن كذبه قومه واشتد إيذاؤهم له بعد موت أبي طالب وخديجة رضي الله عنها .

وعنده أنه صلى الله عليه وسلم خرج إلى الطائف وحده ، فالتقى بعدد من زعماء ثقيف وعرض عليهم الإسلام ، فسخروا منه ، وأغروا به سفاؤهم وصبيانهم يسبونه ويصيحون به ، حتى ألجؤه لحائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ،فقدما له قطفاً من عنب ،وذكر قصة غلامهما النصراني عداس الذي قدم للنبي صلى الله عليه وسلم طبق العنب ، وليس فيه أنهم رموه بالحجارة حتى أدموا قدميه ، وشجوا رأس زيد بن حارثة ، ثم ذكر دعاؤه صلى

---

[١] زاد المعاد ٣/ ٣٣، ٣٤

[٢] المصدر السابق ١/ ٩٥، ٩٦

الله عليه وسلم . وأما ابن القيم فإنه لم يذكر خبر حائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وكلامه على دعائه صلى الله عليه وسلم والتقائه بعداس يشعر بأن ذلك كان خارج الطائف ، وأما ابن اسحاق فيذكر أن ذلك كان في الطائف ، حيث يقول بعد ذكره لذلك : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف راجعاً إلى مكة ، ولم يذكر ابن اسحاق خبر بعث الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ملك الجبال للنبي صلى الله عليه وسلم .[١]

أما خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وحده فقد وافق فيه ابن اسحاق ابن كثير [٢] ، وكذلك أورده الكلاعي .[٣] ، أما ما ذكره ابن القيم من خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف بصحبة زيد بن حارثه ، فقد رواه ابن سعد عن الواقدي [٤]، ونقله البلاذري[٥] ، وابن عبد البر في الاستيعاب [٦]،والمقريزي وقال : في قول الواقدي [٧]. وابن تيمية في الجواب الصحيح [٨]، وأورد الصالحي القولين ولم يرجح أحدهما ، ونسب قول ابن اسحاق أيضا إلى موسى بن عقبة .[٩]

---

[١] السيرة النبوية ١/ ٤١٩، ٤٢٠

[٢] السيرة النبوية ٢/ ١٤٩، والبداية والنهاية ٣/ ١٣٥

[٣] الاكتفاء ١/ ٢٩٧، ٢٩٨

[٤] الطبقات الكبرى ١/ ٢٠٧

[٥] أنساب الأشراف ١، ٢٣٧

[٦] ١، ٤٠

[٧] امتاع الأسماع ٨/ ٣٠٥

[٨] ١/ ٣٨٩

[٩] سبل الهدى والرشاد ٢/ ٤٣٨

وأما ما ذكره ابن القيم من أن ثقيفاً رموا النبي صلى الله عليه وسلم حتى أدموه وشجوا رأس زيد بن حارثة ، فقد تقدم أن ابن اسحاق لم يذكره ، وذكره ابن سعد عن الواقدي .[١]

وأما المدة التي قضاها النبي صلى الله عليه وسلم في الطائف فلم يذكرها ابن اسحاق ، وما ذكره ابن القيم من تحديدها بعشرة أيام ، فقد رواه ابن سعد عن الواقدي [٢]، ونقله ابن الجوزي [٣]، والمقريزي ونسبه للواقدي [٤].

وقدُ ذكر قول آخر في المدة التي قضاها النبي صلى الله عليه وسلم في الطائف ، فقد ذكر ابن عبد البر: أنه صلى الله عليه وسلم أقام في الطائف شهراً[٥]، وذكره المقريزي [٦]

وقد أوردت بعض المصادر أنه صلى الله عليه وسلم خرج إلى الطائف ماشياً على أقدامه ، ذكره المقدسي في ذخيرة الحفاظ [٧]، وابن عساكر في تاريخ دمشق عن عبد الله بن جعفر .[٨] ، وقال الصالحي : قال موسى بن عقبه وابن اسحاق وغيرهما : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وحده ماشياً .[٩]

---

[١] الطبقات الكبرى ١/٢١٢، وابن الجوزي في المنتظم ٣/ ١٢، والوفا له ١/ ٢١٤، والمقريزي في الامتاع ١/ ٤٦

[٢] الطبقات الكبرى ١/ ٢١٠

[٣] الوفاء بأحوال المصطفى ١/ ٢١٤

[٤] امتاع الأسماع ٩/ ١٨١

[٥] الاستيعاب ١/ ٤٠ وأورده الحضرمي في سيرة النبي المختار ١/ ١٩٧

[٦] امتاع الأسماع ٩/ ١٨١

[٧] ٤/ ١٩٦٨

[٨] ٤٩/ ١٥٢والحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي ٢/ ٤٧٣

[٩] سبل الهدى والرشاد ٢/ ٤٣٨

وأما وقت خروجه صلى الله عليه وسلم فلم يحدده ابن القيم ولم يذكره قبله ابن اسحاق لكنهم متفقون على أنه كان بعد حصار الشعب ، ووفاة أبي طالب وخديجة رضي الله عنها . وقدد حددته بعض المصادر بأنه كان بعد موت خديجة رضي الله عنها بثلاثة أشهر [١] ، وقيل ثلاثة أشهر وثمانية أيام.[٢] وأنه كان في ليال بقين من شوال سنة عشر من حين نبيء .[٣]

وأما دعاؤه صلى الله عليه وسلم ، والذي بدايته : اللهم إني أشكو إليك .....الخ فقد أوردته المصادر جميعاً على رأسهم ابن اسحاق ، وذكره ابن القيم ولكنه لم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم من طرق يعتمد عليها ، وضعفه الألباني [٤]، وقال العمري لم يثبت من طرق صحيحة .[٥]

أما بعث الله تعالى ملك الجبال للنبي صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في صحيح البخاري ، ويشير العمري إلى أن تفاصيل رحلة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف لم ترد رواية صحيحة فيها سوى رواية البخاري التي فيها ذكر مجيء ملك الجبال له صلى الله عليه وسلم ، ونصها : عن عَائشَةَ رضي الله عنها زَوجَ النبي صلى الله عليه وسلم قالت للنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم : هل أتى عَلَيكَ يَومٌ كان أشَدَّ من يَومِ أحُدٍ ؟ قال: لقد لَقيتُ من قَوْمكِ ما لَقيتُ ، وكان أشَدَّ ما لَقيتُ منهم يوم العَقَبَةِ ، إذْ عَرَضتُ نَفْسي على بن عبد يا ليل بن عبد كلَالٍ ، فلم يجِبْنِي إلى ما أَرَدتُ ، فَانطَلَقْتُ وأنا مَهْمومٌ على وَجْهي،

---

[١] المعارف لابن قتيبة ١/ ١٥١، وتلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي ١/ ١٩، وسمط النجوم العوالي للعاصمي ١/ ٣٣٥

[٢] المحبر لابن حبيب ١/ ١١

[٣] الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢١١

[٤] السلسة الضعيفة ٦/ ٤٨٦

[٥] السيرة الصحيحة ١/ ١٨٦

فلم أَسْتَفِقْ إلا وأنا بقَرْنِ الثَّعَالبِ ، فَرَفَعتُ رَأْسي فإذا أنا بسَحَابَةٍ قد أَظَلَّتْني، فَنَظَرتُ فإذا فيها جبْرِيلُ، فَنَادَاني فقال: إنَّ اللهَ قد سمع قَولَ قَوْمكَ لك وما رَدّوا عَلَيكَ ، وقد بعَثَ الله إلَيْكَ ملَكَ الْجبَالِ لِتَأْمرَهُ بمَا شئْتَ فيهِمْ ، فَنَادَاني ملَكُ الْجبَالِ : فسَلَّمَ علَيَّ ثمَّ قال: يا محمد فقال ذلك فيمَا شئْتَ إن شئْتَ أنْ أطْبِقَ عليهم الأَخْشَبَيْنِ فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يعْبُدُ اللهَ وحْدَهُ لا يُشْرِكُ بهِ شيئا .[1]

وأما ما ذكره ابن القيم من استماع الجن لقراءته صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من الطائف ، وأنه لم يشعر بهم حتى نزل عليه قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفراً .....الآيات) فقد ذكره ابن اسحاق ، وأنه صلى الله عليه وسلم قام يصلي بنخلة من جوف الليل فمر به الجن ، وهم سبعة نفر من جن نصيبين ....الخ [2] لكنه لم يذكر ما ذكره ابن القيم من إقامة النبي صلى الله عليه وسلم بنخلة أياماً . وقد استشكل بعض العلماء خبر استماع الجن هذا ، مع ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطَلَقَ النبي صلى الله عليه وسلم في طَائفَةٍ من أَصْحَابهِ عَامدِينَ إلى سوقِ عُكاظٍ ، وقد حيلَ بين الشَّيَاطينِ وبَيْنَ خبَرِ السّمَاءِ، وَأُرْسلَتْ عليهم الشّهُبُ، فرَجَعَتْ الشَّيَاطينُ إلى قَوْمهِمْ ، فقَالُوا: مالكم ؟ فقَالُوا : حيلَ بيْنَنَا وبَيْنَ خبَرِ السّمَاءِ ، وَأُرْسلَتْ علَيْنَا الشّهُبُ، قالوا : ما حالَ بيْنَكُمْ وبَيْنَ خبَرِ السّمَاءِ إلا شيْءٌ حدَثَ ، فَاضْربُوا مَشَارقَ الأرض وَمَغَاربَهَا ، فانْظُرُوا ما هذا الذي حالَ بيْنَكُمْ وبَيْنَ خبَرِ السّمَاءِ، فانْصَرَفَ أُولَئكَ الَّذينَ توَجَّهُوا نحو تهَامَةَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو بنَخْلَةَ عَامدِينَ إلى سوقِ عُكاظٍ ،وهو يُصَلّي بأَصْحَابِهِ صلَاةَ الْفجْرِ، فلما سَمعُوا القُرْآنَ اسْتمَعُوا له، فقَالُوا : هذا والله الذي حالَ بيْنَكُمْ وبَيْنَ خبَرِ السّمَاءِ

---

[1] باب إذا قال أحدكم آمين

[2] السيرة النبوية ١/ ٤٢٢

، فَهُنَالكَ حين رجَعُوا إلى قَوْمِهِمْ فقالوا: يا قوْمَنَا إنَّا سَمعْنَا قُرآنًا عجَبًا ، يَهْدي إلى الرُّشدِ فآمَنَّا بهِ ، ولَنْ نُشْركَ برَبّنَا أحَدًا ، فأَنْزَلَ الله على نَبيّهِ صلى الله عليه وسلم (قلْ أُوحيَ إلي وإنَّمَا أوحِيَ إليه قَولُ الجِنّ...) وقد بين العلماء أن الحادثة الواردة في الصحيح عن ابن عباس هي غير التي وقعت عندما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف في السنة العاشرة من البعثة تقريباً ، فإن تلك كانت في بداية البعثة عندما حرست السماء بالشهب ، لأن في رواية ابن عباس : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه ، والنبي صلى الله عليه وسلم عندما رجع من الطائف لم يكن معه سوى زيد بن حارثه أو كان لوحده ، كذلك كان التقاؤه بالجن بعد رجوعه من الطائف ، أما خبر الصحيح عن ابن عباس فيه أنه اطلق مع أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ أي أنهم ذاهبون جهة الطائف وليسوا عائدين منها .[١]

وأما دخول النبي صلى الله عليه وسلم في جوار المطعم بن عدي ، فلم يذكره ابن اسحاق بعد خبر خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وذكره بعد خبر نقض صحيفة المقاطعة وحصار الشعب ، وقبل خبر ذهاب صلى الله عليه وسلم إلى الطائف [٢]، ولم يتبين لي سبب ذلك ، وأما رواية الواقدي عند ابن سعد فقد ذكرت خبر المطعم كجزء من خبر ذهابه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف .[٣] وهذا الذي ذكره أهل السير والمغازي ، وقال ابن كثير : ثم دخل

---

[١] انظر كلام الصالحي في سبل الهدى والرشاد ٢/ ٤٤٨ والحلبي في السيرة الحلبية ٢/ ٥٩، ٦٠

[٢] السيرة النبوية ١/ ٣٨١

[٣] الطبقات الكبرى ١/ ٢١٢ ، والبلاذري في أنساب الأشراف ١/ ٢٣٧ والكلاعي في الاكتفاء نقلاً عن ابن هشام ١/ ٢٩٧

رسول الله مكة مرجعه من الطائف في جوار المطعم بن عدي، وازداد قومه عليه حنقا وغيظا وجرأة وتكذيبا وعنادا والله المستعان وعليه التكلان ، وقد ذكر الاموي في مغازيه : ان رسول الله بعث أريقط إلى الاخنس بن شريق، فطلب منه أن يجيره بمكة، فقال : إن حليف قريش لا يجير على صميمها ، ثم بعثه إلى سهيل بن عمرو ليجيره ، فقال : إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب بن لؤي، فبعثه إلى المطعم بن عدي ليجيره ،فقال : نعم قل له فليأت ، فذهب اليه رسول الله فبات عنده تلك الليلة ، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة أو سبعة متقلدي السيوف جميعا، فدخلوا المسجد ،وقال لرسول الله : طف واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف ، فاقبل أبو سفيان إلى مطعم فقال : أمجير أو تابع ؟ قال : لا بل مجير ، قال : إذاً لا تخفر، فجلس معه حتى قضى رسول الله طوافه ، فلما انصرف انصرفوا معه ، وذهب أبو سفيان إلى مجلسه، قال فمكث أياما ثم أذن له في الهجرة ، فلما هاجر رسول الله إلى المدينة توفي مطعم بن عدي بعده بيسير، قلت: ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أسارى بدر: " لو كان المطعم بن عدى حيا ثم سألني في هؤلاء النتنى لوهبتهم له .[1]

[1] السيرة النبوية ٢/ ١٥٤ وما أشار إليه ابن كثير من قول النبي صلى الله عليه وسلم في شأن أسرى بدر رواه البخاري في الصحيح / باب ما من النبي صلى الله عليه وسلم من الأسارى من غير أن يخمس .

المطلب السابع : الإسراء والمعراج

قال ابن القيم : ثم أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده على الصحيح من المسجد الحرام إلى بيت المقدس راكبا على البراق صحبة جبريل عليهما الصلاة والسلام فنزل هناك وصلى بالأنبياء إماما وربط البراق بحلقة باب المسجد ، وقد قيل إنه نزل ببيت لحم وصلى فيه ولم يصح ذلك عنه البتة .[١]

ثم ذكر عروجه صلى الله عليه وسلم إلى السموات الأولى وحتى السابعة واستفتاح جبريل له في كل سماء ، ولقائه بالأنبياء ، وفرض الصلوات الخمس كما رواية الصحيحين [٢]، وكما ذكر في كثير من كتب السنة والسيرة .

ثم ذكر اختلاف الصحابة في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء والمعراج

فذكر أن: ابن عباس صح عنه أنه قال رآه بفؤاده ، والذي يشير إليه ابن القيم هو ما رواه مسلم عن ابن عبَّاسٍ قال تعالى ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [٣] قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ 4 قال رآهُ بِفُؤَادِهِ مرَّتَيْنِ .[٥] قال : وصح عن عائشة وابن مسعود إنكار ذلك ، وقالا إن قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ إنما هو جبريل . ، وصح عن أبي ذر أنه سأله (أي النبي صلى الله عليه وسلم) : هل رأيت ربك ؟ فقال نور أنى أراه أي حال بيني وبين رؤيته النور

---

[١] زاد المعاد ٣/ ٣٤

[٢] رواه البخاري في الصحيح / باب المعراج ، ومسلم في الصحيح / باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات الخمس

[٣] سورة النجم الآية ١١

[٤] سورة النجم الآية ١٣

[٥] مسلم في الصحيح / باب في ذكر سدرة المنتهى

كما قال في لفظ آخر رأيت نوراً ، قال : وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على أنه لم يره .[١]

أقول : وحديث عائشة في صحيح مسلم : عن مسْرُوقٍ قال كنت مُتَّكئًا عنْدَ عَائشَةَ فقالت يا أبَا عَائشَةَ ثلَاثٌ من تكَلَّمَ بوَاحِدَةٍ منْهُنَّ فقَدْ أعْظَمَ على اللهِ الْفرْيَةَ قلت ما هنَّ قالت من زعَمَ أنَّ مُحمَّدًا صلى الله عليه وسلم رأَى ربَّهُ فقَدْ أعْظَمَ على اللهِ الْفرْيَةَ قال وكُنْتُ مُتَّكئًا فجَلَسْتُ فقلت يا أمَّ الْمُؤْمنِينَ أَنظِرِينِي ولا تَعجَلِينِي أَلَمْ يقُلْ الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [٢]

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ فقالت أنا أوَّلُ هذه الأُمَّةِ سأَلَ عن ذلك رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال إنما هو جِبرِيلُ لم أرَهُ على صُورتِهِ التي خلِقَ عليها غير هَاتَينِ المَرَّتَيْنِ رَأَيتُهُ مُنهَبِطًا من السّمَاءِ سادًّا عِظمُ خَلقِهِ ما بين السّمَاءِ إلى الأرض فقالت أوَ لم تَسمَعْ أنَّ اللهَ يقول ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [3]أوَ لم تَسمَعْ أنَّ اللهَ يقول ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [٤]...الحديث .[٥]

---

[١] زاد المعاد ٣/ ٣٦، ٣٧

[٢] سورة التكوير الآية ٢٣

[٣] سورة الأنعام الآية ١٠٣

[٤] سورة آل عمران الآية ٧٩

[٥] باب معنى قول الله عز وجل (ولقد رآه نزلة أخرى)

وأما قول ابن مسعود ، فقد جاء عنه أنه قال في قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) رأى رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – جبريلَ في حُلة من رَفْرف، قد ملأ ما بين السماء والأرض.[١]

وأما حديث أبي ذر فقد رواه مسلم ولفظه : قال سأَلْتُ رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم هل رأَيْتَ ربَّكَ قال نورٌ أنَّى أرَاهُ ، وفي رواية رأيت نوراً.[٢]

وأما حكاية الدارمي اتفاق الصحابة على عدم الرؤية ، فقد قال ابن تيمة : إنه ذكر ذلك في كتاب الرد له [٣]، وقال ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية أن الدارمي ذكر ذلك في كتاب الرؤية له [٤].

ثم نقل كلام ابن تيمة في عدم تعارض ما ورد عن ابن عباس من اثبات الرؤية ، أو الرؤية بالفؤاد ، وبين ما ورد عن عائشة ، وابن مسعود ، وأبي ذر من عدم الرؤية : بأن اثبات ابن عباس الرؤية ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ابن تيمية : وقد صح عنه (أي النبي صلى الله عليه وسلم) أنه قال : رأيت ربي تبارك وتعالى ، قال : ولكن لم يكن هذا في الإسراء ، ولكن في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح ، ثم أخبرهم : عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة في منامه [٥]وعلى هذا بنى الإمام أحمد رحمه الله تعالى ،

---

[١] رواه الترمذي في السنن ٥/ ٣٩٦ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/ ١١١ وفي رواية النسائي في السنن الكبرى زيادة (ولم يبصر ربه)

[٢] رواهما مسلم في الصحيح / باب في قوله صلى الله عليه وسلم نور أنى أراه .

[٣] مجموع الفتاوى ٦/ ٥٠٧ أقول : ولعل الكتاب الذي يشير إليه ابن تيمة هو الرد على بشر المريسي المعروف بـ النقض على المريسي .

[٤] ١/ ١٢

[٥] الحديث الذي يشير إليه شيخ الإسلام هو ما رواه أحمد في المسند ٥/ ٢٤٣ والترمذي في السنن ٥/ ٣٦٨ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : احْتبِسَ عنَّا رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم ذاتَ غدَاةٍ عن صلَاةِ الصّبْحِ ، حتى كِدْنا نتَرَاءَى عيْنَ

وقال : نعم رآه حقا ،فإن رؤيا الأنبياء حق ،ولا بد ، ولكن لم يقل أحمد رحمه الله تعالى إنه رآه بعيني رأسه يقظة ،ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه ، ولكن قال : مرة رآه ، ومرة قال : رآه بفؤاده ، فحكيت عنه روايتان ، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعيني رأسه ، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك . قال : وأما قول ابن عباس أنه رآه بفؤاده مرتين ، فإن كان استناده إلى قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) ثم قال (ولقد رآه نزلة أخرى) والظاهر أنه مستنده فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم : أن هذا المرئي جبريل رآه مرتين في صورته التي خلق عليها ، وقول ابن عباس هذا هو مستند الإمام أحمد في قوله رآه بفؤاده والله أعلم .

الشّمْسِ ، فخَرَجَ سَريعًا فَثوّبَ بالصَّلَاةِ ، فصَلَّى رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم وتَجَوَّزَ في صَلَاتهِ ، فلما سلَّمَ دعَا بصَوْتِهِ ، قال لنا : على مَصَافِّكمْ كما أَنْتمْ ، ثمَّ انفَتَلَ إِلَيْنَا، ثمَّ قال: أَمَا إني سَأحَدّثُكُمْ ما حَبَسَني عَنْكمْ الغَدَاةَ : إني قمْتُ من اللَّيلِ فَتَوَضَّأتُ وَصَلَّيتُ ما قدِّرَ لي ، فَنَعَستُ في صَلَاتي حتى استثقلت ، فإذا أنا برَبّي تبَارَكَ وتَعَالَى في أَحسَنِ صورَةٍ ، فقال: يا محمد ، قلت : لبيك ربِّ ، قال : فيمَ يَخْتَصمُ المَلَأُ الأعلى ؟ قلت : لا أَدْري ، قالَهَا ثلَاثًا ، قال : فَرَأَيتهُ وضَعَ كفَّهُ بين كَتفَيَّ حتى وَجَدتُ بَردَ أَنَاملِهِ بين ثَديَيَّ ، فتَجَلَّى لي كلُّ شَيءٍ وَعَرَفتُ ، فقال : يا محمد ، قلت : لبيك ربِّ ، قال : فيمَ يَخْتَصمُ المَلَأُ الأعلى قلت : في الكَفَّارَاتِ ، قال: ما هنَّ ؟ قلت: مَشيُ الأَقْدَامِ إلى الحسنات ، وَالْجلُوسُ في الْمَسَاجِدِ بَعدَ الصّلَوَاتِ ، وَإِسْبَاغُ الْوضُوءِ حين الكريهات ، قال : فيمَ ؟ قلت إطْعَامُ الطّعَامِ ، وَلينُ الْكلَامِ، والصَّلَاةُ باللَّيْلِ والنَّاسُ نيَامٌ ، قال ؟ سلْ قلْ : اللهم إني أَسْأَلُكَ فعْلَ الْخيْرَاتِ ،وترك الْمُنْكرَاتِ ، وحُبَّ الْمَسَاكينِ ، وأَنْ تَغْفرَ لي وَتَرْحَمَني ، وإذا أَرَدْتَ فتْنَةَ قوْمٍ فَتَوَفَّني غير مفْتُونٍ، أَسأَلُكَ حُبّكَ وحُبَّ من يُحبُّكَ، وحُبَّ عمَلٍ يُقَرّبُ إلى حُبّكَ، قال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم : إنَّهَا حقٌّ فادْرُسُوهَا ثمَّ تعَلَّمُوهَا . قال أبو عيسَى : هذا حَديثٌ حسَنٌ صَحيحٌ . وصححه الألباني في السلسة الصحيحة ٧/ ٢٠٥

قال : وأما قوله تعالى في سورة النجم (ثم دنا فتدلى) فهو غير الدنو والتدلي في قصة الإسراء، فإن الذي في سورة النجم هو دنو جبريل ، وتدليه كما قالت عائشة ، وابن مسعود ، والسياق يدل عليه ، فإنه قال (علمه شديد القوى) وهو جبريل (ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى) فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوى ، وهو ذو المرة أي القوة ، وهو الذي استوى بالأفق الأعلى ، وهو الذي دنى فتدلى ، فكان من محمد صلى الله عليه وسلم قدر قوسين أو أدنى ، فأما الدنو والتدلي الذي في حديث الإسراء ، فذلك صريح في أنه دنو الرب تبارك ، وتدليه ، ولا تعرض في سورة النجم لذلك ، بل فيها: أنه رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ، وهذا هو جبريل رآه محمد صلى الله عليه وسلم على صورته مرتين مرة في الأرض ومرة عند سدرة المنتهى والله أعلم .

أقول : وقد أطال ابن حجر وأفاد في الكلام على مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه في ليلة المعراج [١].

ثم ذكر ابن القيم أقوال العلماء في الإسراء والمعراج هل كان بالروح والجسد أو بالروح فقط أو مناماً ، وأوضح الفرق بين كونه بالروح وبين كونه مناماً ، وأن الفرق بينهما كبير ، ولا مشابهة بينهما

قال ابن القيم : وقد نقل ابن إسحاق عن عائشة ، ومعاوية : أنهما قالا: إنما كان الإسراء بروحه ولم يفقد جسده ، ونقل عن الحسن البصري نحو ذلك ، ولكن ينبغي أن يعلم الفرق بين أن يقال كان الإسراء مناما ، وبين أن يقال كان بروحه دون جسده وبينهما فرق عظيم وعائشة ومعاوية لم يقولا كان مناما ، وإنما قالا أسري بروحه ولم يفقد جسده ، وفرق بين الأمرين، فإن ما يراه النائم قد يكون أمثالا مضروبة للمعلوم في الصور المحسوسة، فيرى كأنه

---

[١] فتح الباري ٨/ ٦٠٧

قد عرج به إلى السماء ، أو ذهب به إلى مكة، وأقطار الأرض ، وروحه لم تصعد ولم تذهب ، وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال ، والذين قالوا عرج رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفتان : طائفة قالت : عرج بروحه وبدنه ، وطائفة قالت : عرج بروحه ولم يفقد بدنه ، وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان مناما ، وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أسري بها وعرج بها حقيقة ، وباشرت من جنس ما تباشر بعد المفارقة ، وكان حالها في ذلك كحالها بعد المفارقة في صعودها إلى السماوات سماء سماء حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فتقف بين يدي الله عز وجل ، فيأمر فيها بما يشاء ، ثم تنزل إلى الأرض ، والذي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة ، ومعلوم أن هذا أمر فوق ما يراه النائم، لكن لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام خرق العوائد، حتى شق بطنه وهو حي لا يتألم بذلك، عرج بذات روحه المقدسة حقيقة من غير إماتة ، ومن سواه لا ينال بذات روحه الصعود إلى السماء إلا بعد الموت والمفارقة ، فالأنبياء انما استقرت أرواحهم هناك بعد مفارقة الأبدان ، وروح رسول الله صلى الله عليه وسلم صعدت إلى هناك في حال الحياة ، ثم عادت ، وبعد وفاته استقرت في الرفيق الأعلى مع أرواح الأنبياءعليهم الصلاة والسلام ، ومع هذا فلها إشراف على البدن وإشراق وتعلق به، بحيث يرد السلام على من سلم عليه ، وبهذا التعلق رأى موسى قائما يصلي في قبره ، ورآه في السماء السادسة ، ومعلوم أنه لم يعرج بموسى من قبره ثم رد إليه وإنما ذلك مقام روحه واستقرارها، وقبره مقام بدنه واستقراره إلى يوم معاد الأرواح إلى أجسادها، فرآه يصلي في قبره ، ورآه في السماء السادسة ، كما أنه صلى الله عليه وسلم في أرفع مكان في الرفيق الأعلى مستقرا هناك ، وبدنه في ضريحه غير مفقود ، وإذا سلم عليه المسلم رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام ولم يفارق الملأ الأعلى

، ومن كثف إدراكه ، وغلظت طباعه عن إدراك هذا فلينظر إلى الشمس في علو محلها وتعلقها وتأثيرها في الأرض ، وحياة النبات والحيوان بها ، هذا وشأن الروح فوق هذا، فلها شأن وللأبدان شأن ، وهذه النار تكون في محلها وحرارتها تؤثرفي الجسم البعيد عنها ، مع أن الارتباط والتعلق الذي بين الروح والبدن أقوى وأكمل من ذلك وأتم، فشأن الروح أعلى من ذلك وألطف

فقل للعيون الرمد إياك أن تري سنا الشمس فاستغشي ظلام الليواليا [١]

أقول : وقد تقدم أن ابن القيم يرى ويقرر أن الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم أسري بروحه وجسده[٢].

أقول : إن ما ذكره ابن القيم عن ابن اسحاق أنه نقل عن عائشة ومعاوية أنهما قالا : إنما كان الإسراء بروحه ولم يفقد جسده عليه مآخذ هي :

١- أن الذي في سيرة ابن اسحاق أنه قال : حدثني بعض آل أبي بكر : أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقول : ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أسري بروحه [٣]. فالسند ضعيف لأن فيه ابهام بالذين روى عنهم ابن اسحاق .

٢- أيضاً فإن القاضي عياض قال : و أما قول عائشة : ما فقد جسده ، فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة ، لأنها لم تكن حينئذ زوجه ، ولا في سن من يضبط .....و أيضاً فليس حديث عائشة رضي الله عنها بالثابت ، .....و أيضاً فقد روي في حديث عائشة : ما فقدت ، ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة . و كل هذا يهنه ، بل

---

[١] زاد المعاد ٣/ ٤٠، ٤١

[٢] ص ١٨

[٣] السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٩٩، ٤٠٠

الذي يدل عليه صحيح قولها : إنه بجسده ، لإنكارها أن تكون رؤياه لربه رؤيا عين ، ولو كانت عندها مناماً لم تنكره .[١]

٣- أن الذي نقله ابن اسحاق عن معاوية هو قوله : أن الإسراء كان رؤيا صادقة ،وليس بالروح كما قال ابن القيم ، قال : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت رؤيا من الله تعالى صادقه .[٢] ولم أقف على من تكلم على ثبوت الرواية ، ولكن يعقوب بن عتبة لم تذكر له رواية عن معاوية ، وهو ثقة من الرابعة توفي سنة ١٢٨هـ

أما كلام ابن القيم في الفرق بين كون الإسراء كان مناماً وبين أن يكون بالروح ، فهو أول من ذكره ، وعزاه الصالحي له [٣].

وقال العيني : جمهور السلف والخلف على أن الإسراء كان ببدنه وروحه .[٤]

تاريخ الإسراء والمعراج

ثم ذكر ابن القيم الأقوال الواردة في تاريخ الإسراء والمعراج فقال : قال موسى بن عقبة عن الزهري : عرج بروح رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت

---

[١] الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/ ١٥١

[٢] السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٠٠

[٣] سبل الهدى والرشاد ٣/ ٧١

[٤] عمدة القاري ٤/ ٣٩

المقدس وإلى السماء قبل خروجه إلى المدينة بسنة وقال ابن عبد البر وغيره كان بين الإسراء والهجرة سنة وشهران .[١]

أقول : إن ما نقله ابن القيم من طريق موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال : عرج بروح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعله خطأ من ابن القيم أو خطأ في النسخ ، لأن جميع المصادر التي نقلت كلام الزهري فيها أنه قال : ثم أسري به إلى بيت المقدس قبل خروجه إلى المدينة بسنة وفرض الله عليه الصلاة . وليس فيها أنه أسري بروحه .[٢]

وقد ذكرت أقوال أخرى في السنة التي كان فيها الإسراء والمعراج ، فقيل أيضاَ : قبل الهجرة بسنة وشهرين[٣]،وقيل : قبل الهجرة بستة عشرشهراً[٤] وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين قال ابن حجر : وهو أشهر ، وقل قبلها بستة أشهر[٥] وقيل قبلها بخمس سنوات [٦]، وقيل بسبع سنوات [٧] ، وقيل بعد البعثة بخمس عشر شهراً قال ابن حجر : وهذا القول بعيد جداً[٨] ، وقيل بعد البعثة بخمس سنوات .[٩] والمصادر المتقدمة لم ترجح شيئاً ، لكن لعل أشهر الأقوال أنه قبل

---

[١] زاد المعاد ٣/ ٤١، ٤٢

[٢] انظر / أخبار المكيين من كتاب التاريخ لابن أبي خيثمة ١/ ١٩٦، دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٣٥٤ ، التمهيد لابن عبد البر ٨/ ٥٠ ، البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ١٠٨، عمدة القاري للعيني ٤/ ٣٩ ، الخصائص الكبرى للسيوطي ١/ ٢٦٨

[٣] الاستيعاب ١/ ٤٠

[٤] البداية والنهاية ٢/ ١٠٨

[٥] فتح الباري ٢/ ١٠٤

[٦] فتح الباري ٢/ ١٠٤، وسبل الهدى والرشاد ٣/ ٦٥

[٧] امتاع الأسماع للمقريزي ٨/ ١٩٩

[٨] فتح الباري ٢/ ١٠٤

[٩] المصدر السابق

الهجرة بثلاث كما قال ابن حجر ، كذلك جزم النووي أنه كان قبل الهجرة بسنة ، قال الصالحي : وبالغ ابن حزم فنقل فيه الإجماع .[١]

عدد مرات الإسراء والمعراج

ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى الأقوال في تعدد مرات الإسراء والمعراج ، ولبن عدم صحة ذلك ، وأن الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء والمعراج كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة .

قال ابن القيم : وكان الإسراء مرة واحدة ، وقيل مرتين ، مرة يقظة ، ومرة مناما، وأرباب هذا القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك وقوله: ثم استيقظت وبين سائر الروايات ،ومنهم من قال: بل كان هذا مرتين، مرة قبل الوحى، لقوله في حديث شريك: وذلك قبل أن يوحى إليه ، ومرة بعد الوحي كما دلت عليه سائر الأحاديث ، ومنهم من قال : بل ثلاث مرات مرة قبل الوحي ، ومرتين بعده ، وكل هذا خبط ، وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوه مرة أخرى فكلما اختلف عليهم الروايات عددوا الوقائع ، والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة ، و يا عجباً لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارا كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسا ثم يقول أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين ثم يحطها عشرا عشراً؟ ! وقد غلط الحفاظ شريكا في ألفاظ من حديث الإسراء ، ومسلم أورد المسند منه ثم قال فقدم وأخر وزاد ونقص ، ولم يسرد الحديث فأجاد رحمه الله .

---

[١] سبل الهدى والرشاد ٣/ ٦٥

وحديث شريك الذي أشار إليه ابن القيم رواه البخاري قال : حدثنا عبد الْعَزيزِ بن عبد اللهِ حدثني سُلَيْمَانُ عن شَرِيكِ بن عبد اللهِ أَنَّهُ قال: سمعت أَنَسَ بن مالِكٍ يقول لَيلَةَ أُسرِيَ بِرسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم من مَسجِدِ الكَعْبَةِ إنه جاءَهُ ثَلَاثَةُ نفَرٍ قبل أَنْ يُوحى إليه وهو نائِمٌ في المَسْجِدِ الحَرَامِ فقال أَوَّلُهُمْ أَيُّهُمْ هو فقال أَوسَطُهُمْ هو خَيرُهُمْ فقال آخِرهُمْ خذُوا خَيرَهُمْ فكَانَتْ تِلكَ اللَّيلَةَ فلم يرَهُمْ حتى أَتَوهُ لَيلَةً أُخرَى فِيما يرَى قَلبُهُ وتَنَامُ عَينُهُ ولا ينَامُ قَلبُهُ وكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تنَامُ أَعيُنُهُمْ ولا تنَامُ قلُوبُهُمْ فلم يُكلِّمُوهُ حتى احتَمَلُوهُ فوَضَعُوهُ عِندَ بِئرِ زَمزَمَ فتَوَلَّاهُ منهم جِبرِيلُ فشَقَّ جِبرِيلُ ما بين نَحرِهِ إلى لبَّتِهِ حتى فرَغَ من صَدرِهِ وَجَوفِهِ فغَسَلَهُ من ماءِ زَمزَمَ بيده حتى أَنقَى جَوفَهُ ثمَّ أتى بِطَستٍ من ذهَبٍ فيه تَورٌ من ذهَبٍ مَحشُوًّا إيمانًا وَحِكمَةً فحشي بهِ صَدرَهُ ولَغَادِيدَهُ يعني عرُوقَ حَلقِهِ ثمَّ أَطبَقَهُ ثمَّ عرَجَ بهِ إلى السّمَاءِ الدُّنْيا فضَرَبَ بابًا من أبْوَابِهَا ، فنَادَاهُ أَهْلُ السّمَاءِ من هذا فقال جبْرِيلُ قالوا ومَنْ معَكَ قال معِيَ مُحمَّدٌ قال وقد بعِثَ قال نعم قالوا فمَرْحَبًا بهِ وأَهْلًا فيَسْتَبْشِرُ بهِ أَهْلُ السّمَاءِ لا يعْلَمُ أَهْلُ السّمَاءِ بِما يرِيدُ الله بهِ في الأرض حتى يُعْلِمهُمْ فوَجَدَ في السّمَاءِ الدُّنْيا آدمَ فقال له جبْرِيلُ هذا أَبُوكَ فسَلِّمْ عليه فسَلَّمَ عليه ورَدَّ عليه آدمُ وقال مرْحَبًا وَأَهلًا بابْنِي نعْمَ الابْنُ أنت فإذا هو في السّمَاءِ الدّنْيَا بنَهَرَيْنِ يَطَّردَانِ فقال ما هذَانِ النّهَرَانِ يا جبْرِيلُ قال هذا النّيلُ وَالْفرَاتُ عنْصُرُهُمَا ثمَّ مضَى بهِ في السّمَاءِ فإذا هو بنَهَرٍ آخرَ عليه قَصرٌ من لؤْلُؤٍ وَزَبَرجَدٍ فضَرَبَ يدَهُ فإذا هو مسْكٌ أَذفَرُ قال ما هذا يا جبْرِيلُ قال هذا الكَوْثَرُ الذي خبَأَ لك رَبّكَ ثمَّ عرَجَ بهِ إلى السّمَاءِ الثَّانيَةِ فقالت الْمَلَائكَةُ له مثْلَ ما قالت له الْأولَى من هذا قال جبْرِيلُ قالوا ومَنْ معَكَ قال محَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم قالوا وقد بعِثَ إليه قال نعم قالوا مَرحَبًا بهِ وَأَهلًا ثمَّ عرَجَ بهِ إلى السّمَاءِ الثَّالثَةِ وَقَالوا له مثْلَ ما قالت الْأولَى وَالثَّانيَةُ ثمَّ عرَجَ بهِ إلى الرَّابعَةِ فَقَالوا له مثْلَ ذلك ثمَّ عرَجَ بهِ إلى السّمَاءِ الْخَامسَةِ فقَالُوا مثْلَ ذلك

ثمَّ عرَجَ بهِ إلى السّمَاءِ السَّادسَةِ فقَالُوا له مثْلَ ذلك ثمَّ عرَجَ بهِ إلى السّمَاءِ السَّابعَةِ فقَالُوا له مثْلَ ذلك كلُّ سمَاءٍ فيها أَنْبيَاءُ قد سمَّاهُمْ فوعيت منهم إدْرِيسَ في الثَّانيَةِ وهَارُونَ في الرَّابعَةِ وآخَرَ في الْخَامسَةِ لم أحْفَظْ اسْمهُ وَإبْرَاهِيمَ في السَّادسَةِ ومُوسَى في السَّابعَةِ بتَفْضِيلِ كلَامِ اللهِ فقال مُوسى ربِّ لم أظُنَّ أنْ ترفع علَيَّ أحدا ثمَّ علَا بهِ فوْقَ ذلك بمَا لا يعْلَمُهُ إلا الله حتى جاء سدْرَةَ الْمُنْتهَى ودَنَا الجبار ربِّ الْعزَّةِ فتَدَلَّى حتى كان منه قابَ قوْسَيْنِ أو أدْنَى فأَوْحَى الله فيمَا أوْحَى إليه خَمْسينَ صلَاةً على أُمَّتكَ كلَّ يوْمٍ ولَيْلَةٍ ثمَّ هبَطَ حتى بلَغَ مُوسى فاحْتَبَسَهُ مُوسى فقال يا محمد ماذَا عَهدَ إلَيْكَ ربُّكَ قال عَهدَ إلي خَمْسينَ صلَاةً كلَّ يوْمٍ ولَيْلَةٍ قال إنَّ أُمّتَكَ لا تَستَطِيعُ ذلك فَارجِعْ فَليُخَفِّفْ عَنكَ ربُّكَ وَعَنهُمْ فَالتَفَتَ النبي صلى الله عليه وسلم إلى جِبرِيلَ كأَنَّهُ يَستَشِيرُهُ في ذلك فأَشَارَ إليه جِبرِيلُ أنْ نعم إن شِئتَ فعَلَا بهِ إلى الجَبَّارِ فقال وهو مكَانَهُ يا ربِّ خفِّفْ عنَّا فإن أُمّتِي لا تَستَطِيعُ هذا فوَضَعَ عنه عَشرَ صلَوَاتٍ ثمَّ رجَعَ إلى مُوسى فَاحتَبَسَهُ فلم يزَلْ يُرَدِّدُهُ مُوسى إلى ربِّهِ حتى صارَتْ إلى خَمسِ صلَوَاتٍ ثمَّ احتَبَسَهُ مُوسى عِندَ الخَمْسِ فقال يا محمد والله لقد رَاوَدتُ بنِي إسرَائِيلَ قَومِي على أَدنَى من هذا فضَعُفُوا فتَرَكُوهُ فأُمَّتُكَ أَضعَفُ أَجسَادًا وقُلُوبًا وَأَبدَانًا وَأَبصَارًا وَأَسمَاعًا فَارجِعْ فَليُخَفِّفْ عَنكَ ربُّكَ كلَّ ذلك يَلتَفِتُ النبي صلى الله عليه وسلم إلى جِبرِيلَ لِيشِيرَ عليه ولا يَكرَهُ ذلك جِبرِيلُ فرَفَعَهُ عِندَ الخَامِسَةِ فقال يا ربِّ إنَّ أُمّتِي ضُعفَاءُ أَجسَادُهُمْ وقُلُوبُهُمْ وَأَسمَاعُهُمْ وَأَبدَانُهُمْ فخَفِّفْ عنَّا فقال الْجبَّارُ يا محمد قال لبيك وسَعْدَيْكَ قال إنه لا يُبدَّلُ الْقوْلُ لدَيَّ كما فرضت علَيْكَ في أمِّ الْكِتابِ قال فكُلُّ حسَنَةٍ بِعشْرِ أمْثَالِهَا فهِيَ خمْسُونَ في أمِّ الْكِتابِ وهِيَ خمْسٌ علَيْكَ فرَجَعَ إلى مُوسى فقال كيْفَ فعَلْتَ فقال خفَّفَ عنَّا أعْطَانَا بِكلِّ حسَنَةٍ عشْرَ أمْثَالِهَا قال مُوسى قد والله راوَدْتُ بنِي إسْرائِيلَ على أدْنَى من ذلك فتَرَكُوهُ ارْجعْ إلى ربِّكَ فلْيُخَفِّفْ عنْكَ أيْضًا قال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم

يا مُوسى قد والله اسْتحْيَيْتُ من ربّي مِمّا اخْتلَفْتُ إليه قال فاهْبِطْ باسْمِ اللهِ قال واسْتَيْقَظَ وهو في مسْجِدِ الْحرَامِ .[1]

أقول : وقد تكلم العلماء في حديث شريك كما ذكر ابن القيم رحمه الله فقد قال النووي رحمه الله : وقد لخص القاضي عياض رحمه الله فى الاسراء جملا حسنة نفيسة فقال اختلف الناس فى الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان جميع ذلك فى المنام والحق الذى عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسرى بجسده صلى الله عليه وسلم والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ولا يعدل عن ظاهرها الا بدليل ولا استحالة فى حملها عليه فيحتاج إلى تأويل وقد جاء فى رواية شريك فى هذا الحديث فى الكتاب اوهام أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله : فقدم وأخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل أن يوحى إليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الاسراء أقل ما قيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحربى كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال بن إسحاق أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل ..... وأما قوله فى رواية شريك وهو نائم وفى الرواية الاخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه اذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك إليه وليس فى الحديث ما يدل على كونه نائما فى القصة كلها هذا كلام القاضي رحمه الله وهذا الذى قاله فى رواية شريك وأن أهل العلم أنكروها قد قاله غيره وقد ذكر البخارى رحمه الله رواية شريك هذه عن أنس فى كتاب

---

[1] البخاري في الصحيح / باب وكلم الله موسى تكليماً ، ورواه مسلم في الصحيح / باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم

التوحيد من صحيحه وأتى بالحديث مطولا قال الحافظ عبد الحق رحمه الله فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبى نمر عن أنس وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث قال والأحاديث التى تقدمت قبل هذا هي المعول عليها هذا كلام الحافظ عبد الحق رحمه الله .[١]

وذهب ابن حجر رحمه الله إلى التوفيق بين رواية شريك وغيره ، فقال : قوله فلم يرهم أي بعد ذلك حتى اتوه ليلة أخرى ولم يعين المدة التي بين المجيئين فيحمل على ان المجيء الثاني كان بعد أن أوحى إليه وحينئذ وقع الإسراء والمعراج وقد سبق بيان الاختلاف في ذلك عند شرحه وإذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق في ذلك بين أن تكون تلك المدة ليلة واحدة أو ليالي كثيرة أو عدة سنين وبهذا يرتفع الاشكال عن رواية شريك ويحصل به الوفاق أن الإسراء كان في اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة ويسقط تشنيع الخطابي وبن حزم وغيرهما بأن شريكا خالف الإجماع في دعواه ان المعراج كان قبل البعثة وبالله التوفيق .[٢]

المطلب الثامن : بيعتي العقبة الأولى والثانية

قال ابن القيم : رحمه الله ، قال : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عند العقبة في الموسم ستة نفر من الأنصار، كلهم من الخزرج ، وهم أبو

---

[١] شرح النووي على مسلم ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩

[٢] فتح الباري ١٣/ ٤٨٠ كتاب التوحيد / باب ما جاء في قول الله عز وجل (وكلم الله موسى تكليماً)

أمامة أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث ، ورافع بن مالك ، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبدالله بن رئاب ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فأسلموا ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فدعوهم إلى الإسلام ، ففشا الإسلام فيها حتى لم يبق دار إلا وقد دخلها الإسلام

فلما كان العام المقبل جاء منهم اثنا عشر رجلا ، الستة الأول خلا جابر بن عبدالله ، ومعهم معاذ بن الحارث بن رفاعة أخو عوف ، المتقدم ، وذكوان بن عبد القيس ، وقد أقام ذكوان بمكة حتى هاجر إلى المدينة ، فيقال: إنه مهاجري ، أنصاري ، وعبادة بن الصامت ، ويزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعويمر بن مالك ، هم اثنا عشر

وقال أبو الزبيرعن جابر: إن النبي صلى الله عليه وسلم لبث بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم ، ومجنة ، وعكاظ ، يقول : من يؤويني ؟ من ينصرني ؟ حتى أبلغ رسالات ربي، وله الجنة . فلا يجد أحداً ينصره ، ولا يؤويه ، حتى إن الرجل ليرحل من مضر أو اليمن إلى ذي رحِمه ، فيأتيه قومه ، فيقولون له : احذر غلام قريش لا يفتنك ، ويمشي بين رجالهم يدعوهم إلى الله عز وجل ، وهم يشيرون إليه بالأصابع ، حتى بعثنا الله من يثرب، فيأتيه الرجل منا ، فيؤمن به ، ويقرئه القرآن ، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه ، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام ، وبعثنا الله إليه فائتمرنا ، واجتمعنا، وقلنا : حتى متى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرد في جبال مكة ، ويخاف؟ فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم ، فواعدنا بيعة العقبة ، قال له عمه العباس : يا ابن أخي ما أدري ما هؤلاء القوم الذين جاؤوك ، إني ذو معرفة بأهل يثرب، فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين، فلما نظر العباس في وجوهنا قال : هؤلاء قوم لا نعرفهم ، هؤلاء أحداث، فقلنا : يا رسول الله ، علام

نبايعك ؟ قال : تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى النفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم لومة لائم ، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم ، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم ، وأزواجكم ، وأبناءكم، ولكم الجنة ، فقمنا نبايعه ، فأخذ بيده أسعد بن زرارة ، وهو أصغر السبعين ، فقال : رويدا يا أهل يثرب ، إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة ، وقتل خياركم ، وأن تعضكم السيوف ، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه ، وأجركم على الله ، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فهو أعذرلكم عند الله ، فقالوا : يا أسعد أمط عنا يدك ، فو الله لا نذر هذه البيعة ، ولا نستقيلها ، فقمنا إليه رجلاً رجلاً ، فأخذ علينا وشرط ، يعطينا بذلك الجنة [١]، ثم انصرفوا إلى المدينة

وبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أم مكتوم ، ومصعب بن عمير يؤمهم ، وجمع بهم لما بلغوا أربعين ، فأسلم على يديهما بشر كثير، منهم أسيد بن الحضير ، وسعد بن معاذ ، وأسلم بإسلامهما يومئذ جميع بني عبد الأشهل الرجال والنساء إلا أصيرم عمرو بن ثابت بن وقش فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد ، وأسلم حينئذ ، وقاتل فقتل قبل أن يسجد لله سجدة، فأخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : عمل قليلا وأجر كثيرا

وكثر الإسلام بالمدينة ، وظهر، ثم رجع مصعب إلى مكة ، ووافى الموسم ذلك العام خلق كثير من الأنصار، من المسلمين والمشركين ، وزعيم القوم البراء بن معرور فلما كانت ليلة العقبة الثلث الأول من الليل ، تسلل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة وسبعون رجلا ، وامرأتان ، فبايعوا رسول

---

[١] رواه أحمد في المسند ٢٢/ ٣٤٦ ح ١٤٤٥٦ وقال محققوه : إسناده صحيح على شرط مسلم

الله صلى الله عليه وسلم خفية من قومهم ، ومن كفار مكة ، على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزرهم ، فكان أول من بايعة ليلة إذ البراء بن معرور ، وكانت له اليد البيضاء ، إذ أكد العقد ، وبادر إليه ، وحضر العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤكدا لبيعته كما تقدم ، وكان إذ ذاك على دين قومه ، واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم تلك الليلة اثني عشر نقيبا وهم أسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وعبدالله بن رواحة ، ورافع بن مالك ، والبراء ابن معرور، وعبدالله بن عمرو بن حرام والد جابر، وكان إسلامه تلك الليلة ، وسعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو، وعبادة بن الصامت فهؤلاء تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ، أسيد بن الحضير ، وسعد بن خيثمة ، ورفاعة بن عبد المنذر ، وقيل : بل أبو الهيثم بن التيهان مكانه ، وأما المرأتان ، فأم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو، وهي التي قتل مسيلمة ابنها حبيب بن زيد، وأسماء بنت عمرو بن عدي ، فلما تمت هذه البيعة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يميلوا على أهل العقبة بأسيافهم فلم يأذن لهم في ذلك ، وصرخ الشيطان على العقبة بأنفذ صوت سمع : يا أهل الجباجب ، هل لكم في مذمم والصباة معه ، قد اجتمعوا على حربكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أزب العقبة ، هذا ابن أزيب ، أما والله ياعدو الله لأ تفرغن لك ، ثم أمرهم أن ينفضوا إلى رحالهم

فلما أصبح القوم غدت عليهم جلة قريش ، وأشرافهم حتى دخلوا شعب الأنصار، فقالوا : يا معشرالخزرج ، إنه بلغنا أنكم لقيتم صاحبنا البارحة ، وواعد تموه أن تبايعوه على حربنا ، وايم الله ما حي من العرب أبغض إلينا من أن ينشب بيننا وبينه الحرب منكم، فانبعث من كان هناك من الخزرج من المشركين ، يحلفون لهم بالله ما كان هذا ، وماعلمنا ، وجعل عبدالله بن أبي بن سلول يقول : هذا باطل ، وما كان هذا، وما كان قومي ليفتاتوا علي مثل

هذا، لو كنت بيثرب ما صنع قومي هذا ، حتى يؤامروني ، فرجعت قريش من عندهم ، ورحل البراء بن معرور، فتقدم إلى بطن يأجج ، وتلاحق أصحابه من المسلمين ، وتطلبتهم قريش ، فأدركوا سعد بن عبادة ، فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله ، وجعلوا يضربونه ، ويجرونه ، ويجذبونه بجمته حتى أدخلوه مكة ، فجاء مطعم بن عدي ، والحارث بن حرب بن أمية ، فخلصاه من أيديهم ، وتشاورت الأنصار حين فقدوه أن يكروا إليه ، فإذا سعد قد طلع عليهم ، فوصل القوم جميعا إلى المدينة .[١]

وذكر ابن القيم في موضع آخر لقاء النبي صلى الله عليه وسلم بالنفر الستة من الأنصار قبل بيعة العقبة الأولى فقال : فأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ما أقام يدعو القبائل إلى الله تعالى ويعرض نفسه عليهم في كل موسم أن يؤوه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة فلم تستجب له قبيلة وادخر الله ذلك كرامة للأنصار فلما أراد الله تعالى إظهار دينه وإنجاز وعده ونصر نبيه وإعلاء كلمته والإنتقام من أعدائه ساقه إلى الأنصار لما أراد بهم من الكرامة فانتهى إلى نفر منهم ستة وقيل ثمانية وهم يحلقون رؤوسهم عند عقبة منى في الموسم فجلس إليهم ودعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فاستجابوا لله ورسوله ورجعوا إلى المدينة فدعوا قومهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ولم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأول مسجد قرىء فيه القرآن بالمدينة مسجد بني زريق ثم قدم مكة في العام القابل اثنا عشر رجلا من الأنصار منهم خمسة من الستة الأولين فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء عند العقبة ثم انصرفوا إلى المدينة فقدم عليه في العام القابل منهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان وهم أهل العقبة الأخيرة

---

[١] زاد المعاد ٣/ ٤٥-٥٠

فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأنفسهم فترحل هو وأصحابه إليهم .[١]

أقول : ذكر ابن القيم لقاء النبي بالأنصار ، ومبايعتهم له ، ولكنه لم يميز بيعة العقبة الأولى والثانية ، ولم يضع عنواناً لأي من البيعتين [٢]، بل أنه ذكر عدد الذين بايعوا البيعة الأولى وهم اثنى عشر رجلاً ، وأورد في بيعتهم حديث جابربن عبد الله رضي الله عنه والذي ذكرته المصادر جميعاً في بيعة العقبة الثانية والذي فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأنصار : تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى النفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم لومة

---

[١] زاد المعاد ١/ ٩٧، ٩٨

[٢] هناك كتاب باسم جامع السيرة / تأليف : يسري السيد محمد ، جمع فيه السيرة من كتاب زاد المعاد لابن القيم ، ولما ذكر بيعة العقبة وضع لها عنواين من عنده ، فجعلها ثلاث بيعات ، البيعة الأولى كانت في لقاء النبي صلى الله عليه وسلم بستة من الأنصار ، ورجوعهم إلى المدينة وقيامهم بالدعوة إلى الله والذي ذكره ابن القيم ، وجعل البيعة الأولى عند أهل السير هي الثانية ، والثانية هي الأخيرة والثالثة .ص ٤٢- ٤٦ ، وجميع أهل السير والتاريخ جعلوا بيعة العقبة بيعتان سوى ما وقفت عليه من جعل ابن عبد البر لها ثلاث بيعات كما فعل مؤلف الكتاب فقال في ترجمة أسعد بن زرارة رضي الله عنه : وكان عقبيا نقيبا شهد العقبة الأولى والثانية وبايع فيهما وكانت البيعة الأولى في ستة نفر أو سبعة والثانية في اثنى عشر رجلا والثالثة في سبعين رجلا وامرأتان . الاستيعاب ١/ ٨٠ ونقل ذلك ابن الأثير في أسد الغابة ١/ ١١١ بالرغم من أنه ذكر ترجمة رافع بن مالك أنه بايع بيعة العقبة الأولى وهم اثنى عشر رجلاً على وفق بيعة النساء . أي أنه وافق بقية أهل الأثر في كونها بيعتين ، ولعل ابن عبد البر قصد في جعلها ثلاث عقبات أنها ثلاث لقاءات عند العقبة ، لكن البيعة لم تكن إلا في اللقاء الثاني والثالث كما ذكر أهل السير . والله أعلم

لائم ، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم ، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم ، وأزواجكم ، وأبناءكم، ولكم الجنة ، [١]، ولم يذكر حديث عبادة بن الصامت في بيعة العقبة الأولى على وفق بيعة النساء ، على الإيمان بالله وأن لا يسرقوا ولا يزنوا .....الخ [٢]والذي ذكرته جميع مصادر السيرة النبوية في مبايعة الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الأولى ، فقد أورده ابن اسحاق في السيرة النبوية [٣]، وابن سعد في الطبقات [٤]، والبلاذري في أنساب الأشراف [٥]، وابن حزم في جوامع السيرة [٦]، والكلاعي في الاكتفاء [٧]، والصالحي في سبل الهدى والرشاد [٨]، والحلبي في السيرة [٩]، وابن الجوزي في تلقيح فهوم أهل الأثر [١٠] ، والطبري في تاريخه [١١]، وابن عساكر في تاريخ دمشق [١٢]، وغيرهم .

---

[١] رواه أحمد في المسند ٢٢/ ٣٤٦ ح ١٤٤٥٦ وقال محققوه : إسناده صحيح على شرط مسلم

[٢] رواه ابن اسحاق في السيرة النبوية ١/ ٤٣٣ ، واحمد في المسند ٣٧/ ٤١٥ وصححه المحققون

[٣] السيرة لابن هشام ١/ ٤٣٣

[٤] ١/ ٢٢٠

[٥] ١/ ٢٣٩

[٦] ٢/ ٧١

[٧] ١/ ٣١٢

[٨] ١/ ١٢

[٩] ٣/ ٤٩٩

[١٠] ١/ ٣٠٣

[١١] ١/ ٥٥٨

[١٢] ٢٦/ ١٨٥

ثم ذكر بعث النبي صلى الله عليه وسلم مع الأنصار مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، فقاما بالدعوة إلى الله ، فأسلم على يدهما بشر كثير ، ثم ذكر بيعة الأنصار البيعة الثانية ولكنه لم يذكر أنها الثانية ، وذكر فيها حديث كعب بن مالك في بيعة العقبة الثانية والذي فيه أن الأنصار خرجوا مع قومهم من المشركين ، ومواعدتهم النبي صلى الله عليه وسلم العقبة وعددهم ثلاثة وسبعون رجلاً ومعهم امرأتان ، فخرجوا إليه بعد أن مضى ثلث الليل يتسللون تسلل القطا ، فبايعوه على نصرته، وأن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم [١]، ولعله وقع سقط في نسخ الكتاب أو خطأ من النساخ ، لأني استبعد وقوع مثل ذلك من ابن القيم ،أي عدم ذكره لحديث عبادة بن الصامت في شروط البيعة الأولى وهي بيعة النساء ، وذكره بدلاً منه حديث جابر الذي هو في البيعة الثانية بلا خلاف ، وأما ما ذكره من بعث النبي صلى الله عليه وسلم لابن أم مكتوم مع مصعب بن عمير بعد بيعة العقبة الأولى ، فالذي ذكرته أكثر المصادر هو ما ذكره ابن اسحاق من أن الذي بُعث هو مصعب بن عمير فقط فنزل على أسعد بن زرارة ، وقام بالدعوة إلى الله ، فأسلم على يديه عدد كبير من أهل المدينة منهم سعد بن معاذ وقومه بنو عبد الأشهل [٢]، ولعل مستند ابن القيم في ذلك ما ورد في الصحيح عن

---

[١] رواه ابن اسحاق في السيرة النبوية / ابن هشام ١/ ٤٤٠، ٤٤٣ ، قال العمري : بإسناد حسن . السيرة الصحيحة ١/ ٢٠١

[٢] أنظر من تلك المصادر : المصنف لعبد الرزاق ٣/ ١٦٠ ، السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٣٤، الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٣٤، أنساب الأشراف للبلاذري ١/ ٢٣٩، اسد الغابة لابن الأثير ٢/ ٤٤١، تاريخ الإسلام للذهبي ١/ ٢٩٣، البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ١٤٩-١٥١ ، فتح الباري لابن حجر ٧/ ٢٢٣، عمدة القاري للعيني ١٦/ ٢٣٩، ودلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ٢٩٩، وجوامع السيرة لابن حزم ١/ ٥٧ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٤٣٨، والاكتفاء للكلاعي ١/ ٢٦٠، وإمتاع الأسماع للمقريزي ١/ ٥٢ وقال :

البراء بن عازب رضي الله عنه قال : أَوَّلُ من قَدمَ عَلَينَا مصْعَبُ بن عمَيْرٍ وابن مَكْتومٍ ، فجعلا يقرئاننا القرآن ثمَّ قَدمَ عَلَينَا عمَّارُ بن يَاسرٍ وَبلَالٌ رضي الله عَنْهمْ [١].

وقد سبق ابن القيم إلى هذا القول ابن عبد البر، فقال : فلما انصرفوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ابن أم مكتوم ومصعب بن عمير يعلم من أسلم منهم القرآن وشرائع الإسلام ويدعو من لم يسلم إلى الإسلام [٢] ، وقال في موضع آخر : واختلف فى وقت هجرته إليها فقيل كان ممن قدم المدينة مع مصعب بن عمير قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الواقدي قدمها بعد بدر بيسير فنزل دار القراء .[٣] ، وقال السهيلي : وذكر(أي ابن اسحاق) أول من جمع بالمدينة وهو أبو أمامة ، وذكر غيره أن أول من جمع بهم مصعب بن لأنه أول من قدم المدينة من المهاجرين ثم قدم بعده ابن أم مكتوم .[٤] وقال ابن سعد : أخبرنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال كان أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار بن قصي فقلنا له ما فعل رسول الله صلى الله

فبعث معهم مصعب بن عمير ، ويقال : وعبد الله بن أم مكتوم ليعلما من أسلم القرآن .... الخ، والمواهب اللدنية للقصطلاني ١/ ١٦٥

[١] رواه البخاري في الصحيح / باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة .، وباب تفسير سورة سبح

[٢] الدرر في اختصار المغازي والسير ١/ ٦٩ ومثل ذلك ذكر المقريزي في إمتاع الأسماع ١٠/ ١٣٣

[٣] الاستيعاب ٣/ ٩٩٧ ، وقال ابن حجر بعد أن ذكر قول الواقدي : والأول أصح . الإصابة ٤/ ٦٠١ أي القول بأنه هاجر أولا وكان من أوا من قدم المدينة

[٤] الروض الأنف ٢/ ١٩٦

عليه وسلم فقال هو مكانه وأصحابه على أثري ثم أتانا عمرو بن أم مكتوم الأعمى فقالوا له ما فعل من وراءك رسول الله وأصحابه فقال هم أولى على أثري .[١]

أقول : وربما يجمع بين ما ذكره ابن اسحاق وغيره من بعث النبي صلى الله عليه وسلم لمصعب بن عمير وحده بعد بيعة العقبة الأولى للدعوة إلى الله وإقراء الأنصار القرآن ، وبين ما رواه البخاري وغيره من حديث البراء من أن أول من قدم المدينة مصعب وابن أم مكتوم ، بما رواه ابن سعد وذكره السهيلي من أن مصعباً أرسله النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما ابن أم مكتوم فهو أول من قدم من المهاجرين بعده مباشرة ، ولعل ذلك كان بعد بيعة العقبة الثانية أو الأولى كما قال ابن حجر : وتوجه قبل ذلك بين العقبتين جماعة منهم ابن أم مكتوم [٢]، فيكون هو ومصعب بن عمير أول من قدما في مطلق الأولية ، ولا يلزم أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابن أم مكتوم معه ، كما ذكر ذلك بعض أهل السير .أو يخرج على ما ذكره ابن اسحاق من أن مصعب بن عمير رجع بعد ذلك إلى مكة مع الذين بايعوا بيعة العقبة الثانية من الأنصار ، ثم هاجر مع من هاجر بعد بيعة العقبة الثانية فكان أول من هاجر ثم لحق به بقية المهاجرين ومنهم ابن أم مكتوم ، وقد ذكر المقريزي ما هو قريب من ذلك ، قال : وقيل أول من هاجر مصعب بن عمير أي بعد بيعة العقبة الثانية .[٣]

وقال الحلبي : والاقتصار على مصعب لا ينافي ما تقدم من ذكر ابن أم مكتوم

---

[١] الطبقات الكبرى ٤/٢٠٦ ، ورواه ابن حبان في صحيحه ١٥/ ٢٩٠، والحاكم في المستدرك ٣/ ٧٣٥، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٤/ ١٩٩٨

[٢] فتح الباري ٧/ ٢٢٨

[٣] امتاع الأسماع ١/ ٥٦

معه [١]، فهو بذلك يوافق ابن القيم في بعث النبي صلى الله عليه وسلم لمصعب وابن أم مكتوم ، ولكن كما تقدم فإن الأكثر على ما رواه ابن اسحاق من الاقتصار على بعث مصعب ، وتقدم توجيه الروايات في ذلك . والله أعلم

ومما ذكره ابن القيم كما تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث مصعب بن عمير بعد البيعة الأولى كان يجمع بهم في المدينة لما بلغوا أربعين ، وذكر في موضع أخر كما تقدم أيضاً أن النفر الستة الذين التقى بهم النبي صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة الأولى قاموا بالدعوة إلى الله في المدينة حتى فشا فيها الإسلام ، وكان أول مسجد قرئ فيه القرآن مسجد بني زريق .

والذي ذكره ابن اسحاق أن الذي جمع بالأنصار بعد بيعة العقبة الأولى هو أبو أمامة أسعد بن زارة رضي الله عنه في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع الخضمات .[٢] ، وذكر المقريزي القولين ولم يرجح بينهما ، لكنه قال : وقول كعب متصل ، وقول الزهري منقطع .[٣] ونقل العيني عن البيهقي التوفيق بين القولين ، قال : وفي المعرفة قَالَ الزُّهْرِيّ: لما بعث النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم مُصعب بن عُمَيْر إِلَى الْمَدِينَة ليقرئهم الْقُرْآن جمع بهم وهم اثْنَا عشر رجلا، فَكَانَ مُصعب أول من جمع الْجُمُعَة بِالْمَدِينَةِ بِالْمُسْلِمين قبل أَن يقدمهَا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم. قَالَ الْبَيْهَقِيّ: يُرِيد الاثنا عشر النُّقَبَاء الَّذين خَرجُوا بِهِ إِلَى الْمَدِينَة وَكَانُوا لَهُ ظهيرا. وَفِي حَدِيث كَعْب: جمع بهم أسعد وهم أَرْبَعُونَ، وَهُوَ يُرِيد جَمِيع من صلى مَعَه مِمَّن أسلم من أهل الْمَدِينَة مَعَ النُّقَبَاء.[٤]

---

[١] السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) ٢/ ١١

[٢] السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٣٥

[٣] امتاع الأسماع ١/ ٥٣

[٤] عمدة القاري ٦/ ١٨٨

وقال البيهقي في الدلائل :قلت ويحتمل أَنْ لَا يُخَالِفَ هَذَا قَوْلَ ابْنِ شِهَابٍ، وَكَأَنَّ مُصْعَبَ جَمَّعَ بِهِمْ بِمَعُونَةِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَأَضَافَهُ كَعْبٌ إِلَيْهِ وَاللهُ أَعْلَمُ .[١]
أقول : وقد حسن الألباني خبر تجميع أسعد بن زرارة بالأنصار .[٢]

ولم يذكر ابن اسحاق ما ذكره ابن القيم من أول مسجد قرئ فيه القرآن مسجد بني زريق ، وذلك قبل بيعة العقبة الاولى . وقد ذكر ذلك ابن سعد بأسانيد مجموعة .[٣]
أقول : ومما هو جدير بالإشارة : أن هناك قرابة بين بني بياضة الذين جمع أسعد بن زرارة بالأنصار في ديارهم قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبين بني زريق الذين ورد بأن مسجدهم أول مسجد قرئ فيه القرآن ، فبنو بياضة وبنو زريق أبناء عامر بن زريق من بني جشم بن الخزرج [٤]، وكانت مساكن بني بياضة كما قال السمهودي : دار بني بياضة شامي دار بني سالم أهل مسجد الجمعة إلى وادي بطحان قبلي دار بني مازن بن النجار، ممتدة في تلك الحرة وبعضها في السبخة.[٥] وقال الخياري في مساكن بني بياضة : ممتدة بين الحرة الغربية إلى بطحان ،[٦] وقال الشنقيطي : حرة بني بياضة في الطرف الجنوبي للحرة الغربية .[٧] وفي الانترنت أن قلعة قباء المعروفة اليوم تقع في حرة بني بياضة .

---

[١] دلائل النبوة ٢/ ٤٤١ الشاملة
[٢] صحيح سنن ابن ماجه ١/ ١٧٨ ح ٨٨٦
[٣] الطبقات الكبرى ١/ ٢١٨
[٤] تاريخ معالم المدينة للخياري ص ٣٥
[٥] وفاء الوفاء ٣/ ٦٩
[٦] تاريخ معالم المدينة ص ٣٥
[٧] المصدر السابق ص ٢٣٩

وأما بنو زريق فديارهم أيضا في الحرة الغربية ، في ناحية مسجد الغمامة حتى نهاية ذاروان بباب العوالي .[١]

وأما مسجد بني زريق فإن موقعه التقريبي اليوم في الجهة الغربية الشمالية من المسجد النبوي بين مسجد الغمامة والمحكمة الشرعية الكبرى .[٢] و هو في ديار بني زريق وهو الذي سابق إليه النبي صلى الله عليه وسلم بالخيل التي لم تضمر من ثنية الوداع إلى مسجد بني زريق. وقد أقيم في مكان السبق هذا مسجد السبق الذي أزيل الآن وكان على يمين القادم من شارع سلطانه متجهاً إلى قربان في بداية النفق نفق المناخة [٣]

المطلب التاسع : أوائل المهاجرين

قال ابن القيم : فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة إلى المدينة فبادر الناس إلى ذلك فكان أول من خرج إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة ولكنها احتبست دونه ومنعت من اللحاق به سنة وحيل بينها وبين ولدها سلمة ثم خرجت بعد السنة بولدها إلى المدينة وشيعها عثمان بن أبي طلحة ، ثم خرج الناس أرسالا يتبع بعضهم بعضا ولم يبق بمكة من المسلمين إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلي أقاما بأمره لهما وإلا من احتبسه المشركون كرها وقد أعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جهازه ينتظر متى يؤمر بالخروج وأعد أبو بكر جهازه .[٤]

---

[١] تاريخ معالم المدينة للخياري ص ٣٥ وذروان كما ذكر الاستاذ عبيد الله كردي الذي علق على كتاب الخياري أنها مكان مجمع الدوائر الشرعية في الجزء المواجه لموقع الصافية ، وأقول إنه اليوم مقر إمارة منطقة المدينة المنورة المواجه لكبري الصافية .

[٢] المساجد الأثرية في المدينة النبوية ٨٩، ٩٠

[٣] المصدر السابق .

[٤] زاد المعاد ٣/ ٤٩، ٥٠

أقول : الصواب في اسم الذي شيع أم سلمة رضي الله عنهما لما هاجرت إلى المدينة : عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كما ذكرت جميع أهل السير ، كابن اسحاق [١]، والبلاذري [٢]، وابن حزم [٣]، وابن عبد البر [٤] ، وابن عساكر [٥] ، وابن الأثير [٦] ، والصالحي [٧] ، وغيرهم وما ذكره ابن القيم خطأ ولعله سقط في النسخ ، والله أعلم

المطلب العاشر : هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر إلى المدينة

المسألة الأولى : تآمر قريش بدار الندوة لقتل النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن القيم : وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر نصف النهار، في ساعة لم يكن يأتيه فيها، متقنعا ، فقال له : أخرج من عندك ، فقال: إنما هم أهلك يا رسول الله ، فقال: صلى الله عليه وسلم نعم ، فقال أبو بكر: فخذ بأبي وأمي إحدى راحلتي هاتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن ، وأمر عليا أن يبيت في مضجعه تلك الليلة ، واجتمع أولئك النفر من قريش يتطلعون من صير الباب ، ويرصدونه ويريدون بياته، ويأتمرون أيهم يكون أشقاها ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ، فأخذ حفنة من البطحاء، فجعل يذره على رؤوسهم وهم لا يرونه ، وهو يتلوا قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ

---

[١] السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٦٩

[٢] أنساب الأشراف ١/ ٢٥٨ ، ١٠ / ٢٢٢

[٣] جوامع السيرة ٢/ ٨٥، ٨٦

[٤] الدرر في اختصار المغازي ١/ ٧٦

[٥] تاريخ دمشق ٣٨/ ٣٨٢

[٦] أسد الغابة ٧/ ٣٧٢

[٧] سبل الهدى والرشاد ٢/ ٢٢٤

﴿[١] ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر، فخرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلا، وجاء رجل ، ورأى القوم ببابه فقال : ما تنتظرون ؟ قالوا : محمدا ، قال : خبتم وخسرتم ، قد والله مر بكم وذر على رؤوسكم التراب ، قالوا: والله ما أبصرناه ، وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ، وهم : أبو جهل ، والحكم بن العاص ، وعقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث ، وأمية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، و طعيمة بن عدي ، وأبو لهب ، وأبي بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، فلما أصبحوا قام عليٌ عن الفراش ، فسألوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لا علم لي به .[٢]

أقول : الذي ذكره ابن اسحاق أن مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لبيت أبي بكر كان بالهاجرة والذي في رواية الصحيح : في نحر الظهيرة [٣]، وعليه أكثر أهل السير ولم أقف على من ذكر ما ذكره ابن القيم بقوله (نصف النهار) ولعل ابن القيم أرد توضيح معنى رواية الصحيح وغيرها ، فقد ذكر ابن حجر رحمه الله تعالى :أن المراد بنحر الظهيرة : أول الزوال [٤]، والزوال هو وقت الظهر ، وصلاة الظهر حين تتوسط الشمس السماء ثم تبدأ بالزوال وتميل ناحية الغرب ، والظهيرة أو الظهر هو كذلك وسط النهار كما نقل ذلك العيني عن الداودي .[٥]

---

[١] سورة يس الآية ٩

[٢] زاد المعاد ٣، ٥١، ٥٢

[٣] رواه البخاري في الصحيح / باب التقنع

[٤] فتح الباري ٧/ ٢٣٥

[٥] عمدة القاري ١٣/ ٢٣٠

وذكر ابن القيم تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى (وجعلنا من بين أيدهم ..... الآية) والذي ذكرته جميع المصادر أنه صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على هذه الآية ، وإنما تلى سورة يس من بدايتها حتى فرغ من قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ فقد ذكر ذلك ابن اسحاق [١] وأبو نعيم [٢] ، والبيهقي [٣]، وابن عبد البر [٤] ، والسهيلي [٥]، والكلاعي [٦]، وابن سيد الناس [٧]، وابن كثير [٨]، والمقريزي [٩]، والقسطلاني [١٠]، والصالحي [١١]، والحلبي [١٢].

ثم ذكر ابن القيم أسماء الذين كانوا يحاصرون بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر ابن اسحاق أسماءهم [١٣] ، وقد ذكرت بعض المصادر

---

[١] السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٨٣

[٢] دلائل النبوة ١/ ٢٠٠

[٣] دلائل النبوة ٢/ ٤٧٠

[٤] الدرر ١/ ٧٩

[٥] الروض الأنف ٤/ ١٢٦

[٦] الاكتفاء ١/ ٢٨٠

[٧] عيون الأثر ١/ ٢٠٧

[٨] السيرة النبوية ٢/ ٢٣٠

[٩] امتاع الأسماع ٤/ ١٢١

[١٠] المواهب اللدنية ١/ ١٦٨

[١١] سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٣٢

[١٢] السيرة الحلبية (إنسان العيون) ٢/ ٣٧

[١٣] السيرة النبوية ١/ ٤٨٣، ٤٨٤

أسماؤهم بزيادة رجل أخر هو الحارث بن قيس بن عدي السهمي ابن الغيطلة ، وهي أمه [١].

المسألة الثانية : اختباء النبي صلى الله عليه وسلم في غار ثور

قال ابن القيم : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى غار ثور فدخلاه ، وضرب العنكبوت على بابه ، وكانا قد استأجرا عبدالله بن أريقط الليثي وكان هاديا ماهراً بالطريق ، وكان على دين قومه من قريش ، وأمناه على ذلك وسلما إليه راحليتهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ، وجدت قريش في طلبهما ، وأخذوا معهم القافة حتى انتهوا إلى باب الغار فوقفوا عليه ، ففي الصحيحين أن أبا بكر قال : يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا، فقال : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما [٢]، لا تحزن ، فإن الله معنا ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يسمعان كلامهم فوق رؤوسهما ، ولكن الله سبحانه عمى عليهم أمرهما ، وكان عامر بن فهيرة يرعى عليهما غنما لأبي بكر، ويتسمع ما يقال بمكة ثم يأتيهما بالخبر، فإذا كانت السحر سرح مع الناس، قالت عائشة : وجهزناهما أحث الجهاز ، ووضعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فأوكت به الجراب ، وقطعت الأخرى فصيرتها عصاما لفم القربة ، فلذلك لقبت ذات النطاقين ، وذكر الحاكم في مستدركه عن عمر قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه ، حتى فطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له : يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك

---

[١] الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٠٠ ، والوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ١/ ٢٣٤

[٢] البخاري في الصحيح / باب أن عدة الشهور ، ومسلم في الصحيح / باب من فضائل أبي بكر

، فقال : يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني ، قال : نعم والذي بعثك بالحق ، فلما انتهى إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء لك الغار، فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرىء الجحرة ، فقال مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء الجحرة ،ثم قال انزل يا رسول الله ، فنزل [١]، فمكثا في الغار ثلاث ليال حتى خمدت عنهما نار الطلب ، فجاءهما عبدالله بن أريقط بالراحلتين، فارتحلا ، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة وسار الدليل أمامهما ، وعين الله تكلؤهما ، وتأييده يصحبهما ، وإسعاده يرحلهما وينزلهما .[٢]

أقول : ذكر ابن القيم ضرب العنكبوت بيتها على باب الغار وهذا الخبر أوردته المصادر إضافة إلى خبر وضع حمامتين وحشيتين عشهما على فم الغار [٣]، وهذين الخبرين على شهرتهما لم يوردهما ابن اسحاق ، وقد حسن ابن كثير خبر العنكبوت من رواية أحمد ، فقال : وهذا إسناد حسن ، وهو أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار .[٤] وقد ضعف الشيخ الألباني الخبر

---

[١] الحاكم في المستدرك ٣/ ٧ ، والخبر رواه البيهقي وغيره وفي كنز العمال ٢/ ٢٢١ أخرجه الحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح وأقره الذهبي ، وقال : صحيح مرسل . وقال الصوياني : إسناده صحيح لولا انقطاع ... محمد بن سيرين لم يدرك عمر ، لكن الحديث حسن بما قبله . السيرة النبوية كما جاءت في الآحاديث الصحيحة ١/ ٢٥٨ وكذا قال مهدي رزق الله . السيرة في ضوء المصادر الأصليه ١/ ٣٢٣

[٢] زاد المعاد ٣/ ٥٢-٥٤

[٣] الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٢٩ ، أخبار مكة للفاكهي ٤/ ٨٣ ، دلائل النبوة لأبي نعيم ٢/ ٤٨٢ ، تاريخ الإسلام للذهبي ١/ ٣٢٣ ، سبل الهدى والرشاد للصالحي ٣/ ٢٤٠

[٤] السيرة النبوية ٢/ ٢٣٩

لضعف عثمان الجزري .[١] وأما خبر الحمامتين فقد ضعفه ابن كثير وقال : وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ، ولكن لم يرد ذلك بإسناد قوي ولا ضعيف ، ولسنا نثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا ، ولكن ما صح أو حسن سنده قلنا به .[٢] وقال العقيلي : وأبو مصعب (وهو أحد رجال السند) رجل مجهول .[٣] وقال الذهبي : أبو مصعب لا يعرف [٤].

ولعل ايراد ابن القيم لخبر العنكبوت فقط لأنه كان يرى ثبوته .

وقال ابن القيم : وكان عامر بن فهيرة يرعى عليهما غنما لأبي بكر، ويتسمع ما يقال بمكة ثم يأتيهما بالخبر .

الذي ذكرته جميع المصادر ومنها رواية البخاري في الصحيح أن عامر بن فهيرة كان يرعى الغنم عند الغار ، وأما الذي كان يتسمع أخبار قريش فهو عبد الله بن أبي بكر الصديق ففي رواية الصحيح :

يَبيتُ عِنْدَهمَا عبد اللهِ بن أبي بَكر ، وهو غلَامٌ شابٌّ لَقنٌ ثَقفٌ ، فَيَرحَلُ من عنْدِهِمَا سحَرًا ، فَيصْبِحُ مع قرَيْشٍ بمَكَّةَ كَبَائتٍ فلا يَسمَعُ أمْرا يكَادَانِ بهِ إلا وعَاهُ حتى يَأْتِيَهمَا بخَبَرِ ذلك حين يَخْتَلطُ الظّلَامُ ، وَيَرعَى عَلَيْهمَا عَامرُ بن فهَيْرَةَ مولى أبي بَكرٍ منْحَةً من غنَمٍ فَيرِيحُهَا عَلَيْهمَا حين تَذهَبُ ساعَةٌ من الْعشَاءِ ، فَيَبيتَانِ في رسلها .[٥]

المسألة الثالثة : خروج النبي صلى الله عليه وسلم من الغار وتوجهه نحو المدينة

---

[١] فقه السيرة ١٧٣

[٢] السيرة النبوية ٢/ ٢٤٣

[٣] الضعفاء ٣/ ٤٢٢

[٤] ميزان الاعتدال ٥/ ٣٧٠

[٥] رواه البخاري / باب التقنع

١- (خبر سراقة بن مالك)

قال ابن القيم : ولما يئس المشركون من الظفر بها جعلوا لمن جاء بهما دية كل واحد منهما فجد الناس في الطلب والله غالب على أمره فلما مروا بحي بني مدلج مصعدين من قديد بصر بهم رجل من الحى فوقف على الحي فقال لقد رأيت آنفا بالساحل أسودة ما أراها إلا محمدا وأصحابه ففطن بالأمر سراقة بن مالك فأراد أن يكون الظفر له خاصة وقد سبق له من الظفر ما لم يكن في حسابه فقال بل هم فلان وفلان خرجا في طلب حاجة لهما ثم مكث قليلا ثم قام فدخل خباءه وقال لخادمه اخرج بالفرس من وراء الخباء وموعدك وراء الأكمة ثم أخذ رمحه وخفض عاليه يخط به الأرض حتى ركب فرسه فلما قرب منهم وسمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يكثر الالتفات ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلتفت فقال أبو بكر يا رسول الله هذا سراقة بن مالك قد رهقنا فدعا عليه رسول صلى الله عليه وسلم فساخت يدا فرسه في الأرض فقال قد علمت أن الذي أصابني بدعائكما فادعوا الله لي ولكما علي ان أرد الناس عنكما فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلق وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب له كتابا فكتب له أبو بكر بأمره في أديم وكان الكتاب معه إلى يوم فتح مكة فجاءه بالكتاب فوفاه له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يوم وفاء وبر وعرض عليهما الزاد والحملان فقالا لا حاجة لنا به ولكن عم عنا الطلب فقال قد كفيتم ورجع فوجد الناس في الطلب فجعل يقول قد استبرأت لكم الخبر وقد كفيتم ما هاهنا وكان أول النهار جاهدا عليهما وآخره حارسا لهما .[١]

[١] زاد المعاد ٣/ ٥٤- ٥٨

أقول : ما ذكره ابن القيم من قصة سراقة بن مالك ولحاقه بالنبي صلى الله عليه وسلم لنيل جائزة قريش رواه ابن اسحاق في السيرة النبوية [١] ، والبخاري في الصحيح [٢] باختلاف يسير ، والبلاذري في أنساب الأشراف [٣]والسهيلي في الروض الأنف [٤] ، وابن حزم في جوامع السيرة [٥] والكلاعي في الاكتفاء [٦] ، وابن كثير في السيرة النبوية [٧] والصالحي في سبل الهدى والرشاد [٨] وبعض المصادر ذكرت رواية البخاري ، وذكر بعضها رواية ابن اسحاق ، وبعضها ذكر الروايتين .

غير أن ابن القيم ذكر بعض الألفاظ التي لم أجدها في المصادر ، كقوله عن سراقة : فقام فدخل خباءه ، فقال لخادمه : اخرج بالفرس ، والذي في جميع المصادر كما في رواية البخاري : فدخلت ، فأمرت جاريتي ، أو كما رواية ابن اسحاق : فدخلت بيتي ثم أمرت بفرسي .

وقول ابن القيم : وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب له كتابا فكتب له أبو بكر بأمره في أديم.

ففيه أن الذي كتب الكتاب لسراقة هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو كذلك في رواية ابن اسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اكتب له يا

---

[١] السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٨٩

[٢] باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم

[٣] ١١/ ١٣٤

[٤] ٤/ ١٨٦

[٥] ٢/ ٩٢

[٦] ١/ ٣٤٥

[٧] ٢/ ٢٤١

[٨] ٣/ ٢٤٨

أبا بكر ، قال سراقة : فكتب لي كتابا في عظم ، أو رقعة ، أو في خزفة .[١] ، وفي رواية البخاري أن الكاتب عامر بن فهيرة : قال سراقة : فسألته أن يكتب لي كتاب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة ، فكتب في رقعة من أديم .[٢] ، قال ابن كثير : يحتمل أن أبابكر كتب بعضه ، ثم أمر مولاه عامر فكتب باقيه .[٣] ، وقال الحلبي : أقول : وحينئذ يمكن أن يكون كتب عامر بن فهيرة أولا ، فطلب سراقة أن يكون أبو بكرهو الذى يكتب ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابة ذلك ، فأحدهما كتب فى الرقعة من الأدم ، والآخر كتب فى العظم أو الخرقة أو المراد بالخرقة الرقعة من الأدم فلا مخالفة .[٤]

أيضاً في رواية البخاري أنه كتب في رقعة من أديم ، ولا تعارض بينه وبين رواية ابن اسحاق لأن فيها كتابا في عظم أو رقعة ، أو خزفة ، والرقعة هي من الأديم وهي الجلد المدبوغ[٥] كما في رواية البخاري .

أيضا قول ابن القيم : وكان الكتاب معه إلى يوم فتح مكة فجاءه بالكتاب فوفاه له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يوم وفاء وبر

الذي عند ابن اسحاق : فَكَتَبَ لِي كِتَابًا فِي عَظْمٍ، أَوْ فِي رُقْعَةٍ، أَوْ فِي خَزَفَةٍ، ثُمَّ أَلْقَاهُ إِلَيَّ، فَأَخَذْتُهُ، فَجَعَلْتُهُ فِي كِنَانَتِي، ثُمَّ رَجَعْتُ ، فَسَكَتُّ فَلَمْ أَذْكُرْ شَيْئًا مِمَّا كَانَ حَتَّى إِذَا كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفَرَغَ مِنْ حُنَيْنٍ وَالطَّائِفِ، خَرَجْتُ وَمَعِي الْكِتَابَ لَأُلْقَاهُ، فَلَقِيتُهُ بِالْجِعْرَانَةِ ، قَالَ:

---

[١] السيرة النبوية ١/ ٤٨٩، ٤٩٠ وجوامع السيرة لابن حزم ٢/ ٩٢ ، والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ١/ ٨٢ وغيرهم ، والذي نقله ابن حجر عن ابن اسحاق بدل خزفة خرقه . فتح الباري ٧/ ٢٤٢ التراث

[٢] رواه البخاري في الصحيح / باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم

[٣] السيرة النبوية ٤/ ٦٩١

[٤] السيرة الحلبية ٢/ ٢٢١

[٥] انظر عمدة القاري للعيني ١٧/ ٤٨

فَدَخَلْتُ فِي كَتِيبَةٍ مِنْ خَيْلِ الْأَنْصَارِ. قَالَ: فَجَعَلُوا يَقْرَعُونَنِي بِالرِّمَاحِ وَيَقُولُونَ: إِلَيْكَ إِلَيْكَ ، مَاذَا تُرِيدُ؟ قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ، وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سَاقِهِ فِي غَرْزِهِ كَأَنَّهَا جُمَّارَةٌ. قَالَ: فَرَفَعْتُ يَدِي بِالْكِتَابِ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا كِتَابُكَ لِي ، أَنَا سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرٍّ، ادْنُهْ. قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَأَسْلَمْتُ.

وهو كذلك في جميع المصادر أنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة ، وبعد رجوعه من غزوة الطائف بالجعرانة .[١]

٢- (خبر أم معبد)

قال ابن القيم : ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيرة ذلك حتى مر بخيمتي أم معبد الخزاعية وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء الخيمة ثم تطعم وتسقي من مر بها فسألاها هل عندها شيء فقالت والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى والشاء عازب وكانت سنة شهباء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة فقال ما هذه الشاة يا أم معبد قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال هل بها من لبن قالت هي أجهد من ذلك فقال أتأذنين لي أن أحلبها قالت نعم بأبي وأمي إن رأيت بها حلبا فاحلبها فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ضرعها وسمى الله ودعا فتفاجت عليه ودرت فدعا بإناء لها يربض الرهط فحلب فيه حتى علته الرغوة فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا ثم شرب وحلب فيه ثانيا حتى ملأ الإناء

---

[١] انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/ ٣٣٥ ، ودلائل النبوة لآبي نعيم ١/ ٣٣٢ والاكتفاء للكلاعي ١/ ٣٤٦، وأسد الغابة لابن الأثير ٢/ ٣٩٦ ، ودلائل النبوية لأبي نعيم ١/ ٣٣٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٢٤٨ ، والمطالب العالية لابن حجر ٩/ ٤٦٧ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ١/ ٣٢٧ و سبل الهدى والرشاد للصالحي ٣/ ٥٤٨ وغيرها .

ثم غادره عندها فارتحلوا فقلما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا يتساوكن هزالا لا نقي بهن فلما رأى اللبن عجب فقال من أين لك هذا والشاة عازب ولا حلوبة في البيت فقالت لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ومن حاله كذا وكذا قال والله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلبه صفيه لي يا أم معبد قالت ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة وسيم قسيم في عينيه دعج وفي أشفاره وطف وفي صوته صحل وفي عنقه سطح أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر إذا صمت علاه الوقار وإن تكلم علاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنه وأحلاه من قريب حلو المنطق فصل لا نزر ولاهذر كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة لا تقحمه عين من قصر ولا تشنؤه من طول غضن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يخفون به إذا قال استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود لا عابس ولا مفند فقال أبو معبد والله هذا صاحب قريش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا لقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا وأصبح صوت بمكة عاليا يسمعونه ولا يرون القائل :

جزى الله رب العرش خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به وأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فعال لا يجازى وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاء تشهد

قالت أسماء بنت أبي بكر ما درينا أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل من الجن من أسفل مكة فأنشد هذه الأبيات والناس يبتعونه

ويسمعون صوته ولا يرونه حتى خرج من أعلاها قالت فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن وجهه إلى المدينة .[١]

أقول : قدم ابن القيم خبر سراقة على خبر أن معبد ، وقد اختلف أهل السير في ذلك فبعضهم قدم خبر سراقة على خبر أم معبد ورجح ذلك ، وبعضهم قدم خبر أم معبد على خبر سراقة ورجح ذلك ، فقد ذكر ابن اسحاق خبرها باختصار شديد في خبر الهاتف الذي سمعه أهل مكة يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر وارتحلا به فأفلح من أمسى رفيق محمد

ثم عرف بأم معبد .[٢] واقتصر على ذلك .

ثم ذكر خبر سراقة بن مالك .[٣]

وقد سار على ذلك ابن سعد في الطبقات [٤] ، وابن عبد البر في الدرر [٥] ، والسهيلي في الروض الأنف [٦] ، والكلاعي في الاكتفاء [٧] ، والصالحي في سبل الهدى [٨] ، والزرقاني في شرح المواهب [٩] وقال الحلبي : وقضية الترتيب ذكر قصة أم معبد قبل قصة سراقة لأنه الصحيح الذي صرح به جماعة [١٠]

---

[١] زاد المعاد ٣/ ٥٤- ٥٨

[٢] السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٨٧

[٣] المصدر السابق ١/ ٤٨٩

[٤] ١/ ٢٣٠-٢٣٤

[٥] ١/ ٨٣، ٨٣

[٦] ٤/ ١٣٩-١٤١

[٧] ١/ ٢٨٥-٢٨٩

[٨] ٣/ ٢٤٤-٢٤٨

[٩] ٢/ ١٤٣

[١٠] السيرة الحلبية ٢/ ٧٠

أقول : ولعل مما يرجح ذلك أن بعض من تناولوا ذكر أماكن أحداث السيرة من المحققين المعاصرين ذكروا أن مكان خيمتي أم معبد قبل ديار بني مدلج والتي لحق فيها سراقة بن مالك بالنبي صلى الله عليه وسلم ، قال البلادي وهو يذكر طريق هجرة النبي صلى الله عليه وسلم : فخرج بهم الدليل من أسفل مكة ثم على الساحل ، حتى عارض الطريق أسفل عسفان ، ثم سلك بهما أسفل من أمج ، ثم أجاز قديداً ، وفي أقصى قديداً نزلا على أم معبد امرأة من بني كعب من خزاعة .....ولما خرجوا من عند أم معبد مروا في ديار بني مدلج من كنانة فعرف بهم سراقة بن مالك المدلجي .[١]

وذهب أخرون إلى ما ذهب إليه ابن القيم من تقديم خبر سراقة على خبر أم معبد كابن عبد البر في الدرر [٢] ، وابن حبان في السيرة النبوية [٣] ، والمقريزي في امتاع الأسماع [٤] ، وابن كثير في السيرة النبوية [٥] ، والذهبي في تاريخ الإسلام [٦] ، والحلبي في السيرة الحلبية في قول ثان له وتقدم قوله الأول ولعله هو الراجح عنده ، وقال : واجتازوا فى طريقهم بأم معبد أى واسمها عاتكة ، وكان منزلها بقديد أى وهو محل سراقه كما تقدم ، ولعلها كانت بطرفه الأخير الذى يلى المدينة ، ومنزل سراقة بطرفه الذى يلى مكة وكانت مسافته متسعة ، فليتأمل .[٧]

---

[١] على طريق الهجرة ص ٣٥٢، ٣٥٣

[٢] ١/ ٨٣

[٣] ١/ ١٣٣

[٤] ١/ ٥٩- ٦٢

[٥] ٢/ ٢٤٦- ٢٥٩

[٦] ١/ ٣٢٨

[٧] / ٢٢٤

هذا أخر ما تيسرت كتابته من هذا البحث فما كان فيه من صواب فمن الله ، وما كان فيه من خطأ ونقص فمني ومن الشيطان ، وأسأل الله أن يتقبله ويجعله في سبيل مرضاته ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الخاتمة

أهم النتائج :

١- أن ابن القيم وافق جمهور أهل السير فيما ذهب إليه من أخبار سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى رأسهم شيخهم وعمدتهم محمد بن إسحاق ، لكنه قد يضيف على ابن اسحاق بعض الاضافات التي ذكرها من جاء بعد ابن اسحاق .

٢- أورد ابن القيم في كتابه عددا من الفوائد والاستنباطات القيمة ، والتي انفرد بها رحمه الله .

٣- حكم ابن القيم رحمه الله تعالى على عدد من الأحاديث والأخبار من حيث الثبوت أو عدمه .

٤- وقفت على بعض ما خالف فيه ابن القيم أهل السير ، مما هو في علمي القاصر خطأ واضح ، ولعل ذلك راجع لخطأ في النسخ أو وهم من النقلة أو نسيان أو وهم عابر ، وهو رحمه الله غير معصوم

من الخطأ خصوصاً وأنه ألف كتابه وهو في حالة سفر بعيد عن كتبه ومراجعه ، وهو في مشقة وتعب .

٥- قد يورد ابن القيم بعض المعلومات التي لم أجدها عند غيره من أهل السير فيما وقفت عليه ، ولم يتضح لي مصدرها .

٦- يرجح ابن القيم بين الروايات المتعارضة أحياناً ، ويوردها أحياناً من غير ترجيح .

٧- لم يذكر ابن القيم بعض أحداث السيرة التي ذكرتها مصادر السيرة ، ويعذر في ذلك لأنه لم يقصد في كتابه استقصاء أخبار السيرة .

فهرس المصادر والمراجع

١- أعيان العصر وأعوان النصر / لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي / تحقيق الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد،

٢- الدكتور محمود سالم محمد / دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا / ط الأولى ١٤١٨ هـ

٣- ابن قيم الجوزية حياته ، آثاره ، موارده /لبكر بن عبد الله أبو زيد / دار العاصمة / الرياض / ط الثانية ١٤٢٣هـ

٤- ابن القيم وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها / لجمال بن محمد السيد / عمادة البحث العلمي / الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة / ط الأولى ١٤٢٤هـ

٥- أخبار المكيين من تاريخ ابن أبي خيثمة / أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة / تحقيق أسماعيل حسن حسين / ط الأولى ١٩٩٧م

٦- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه / لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي تحقيق / د. عبد الملك عبد الله دهيش / ط الثانية، ١٤١٤ دار خضر – بيروت

٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب / ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر / تحقيق علي محمد البجاوي / ط الأولى ١٤١٢هـ دار الجيل بيروت

٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة / لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير / تحقيق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود ط الأولى ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية

٩- الإصابة في تميز الصحابة / لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني / تحقيق عادل أحمد عبد الموجود / ط الأولى ١٤١٥ / دار الكتب العلمية بيروت وكذلك تحقيق البجاوي / دار الجيل بيروت

١٠- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء / لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي / تحقيق محمد كمال الدين عز الدين / ط عالم الكتب بيروت ١٤١٧هـ

١١- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع / لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي / محمد عبد الحميد النميسي / ط دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٢٠هـ

١٢- أنساب الأشراف / لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري / تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي / دار الفكر / بيروت / ط ١٤١٧هـ

١٣- البحر الزخار المعروف بمسند البزار / لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار / تحقيق محفوظ الرحمن زين الله / ط الأولى مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة .

١٤- البداية والنهاية / اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي / مكتبة المعارف بيروت

١٥- تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام / لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي / ط ١٤٠٧ الأولى دار الكتاب العربي بيروت وتحقيق بشار عواد معروف / دار الغرب الإسلامي ط الأولى ١٨- تاريخ الطبري / تاريخ الرسل والملوك / لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري / دار الكتب العلمية .

١٦- تاريخ دمشق / لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر / تحقيق عمرو بن غرامة العمروي ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ

١٧- تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً / لأحمد ياسين الخياري / ط الرابعة ١٤١٤هـ مؤسسة المدينة للصحافة .

١٨- تخريج الآحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري / لجمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي / ط الأولى ١٤١٤هـ دار ابن خزيمة الرياض

١٩- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير / لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي / ط الأولى ١٩٩٧م شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت .

٢٠- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد / لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر / ط ١٣٨٦وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب .

٢١- جامع السيرة / جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه يسري السيد محمد / ط الأولى ١٤٢٣هـ دار الوفاء للطباعة والنشر مصر .

٢٢- جوامع السيرة النبوية / لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ط دار الكتب العلمية – بيروت

٢٣- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة / لإسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة / تحقيق محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي ط الثانية، ١٤١٩هـ دار الراية – السعودية / الرياض .

٢٤- الدرر في اختصار المغازي والسير / للنمري، الحافظ يوسف بن البر / تحقيق الدكتور شوقي ضيف / ط الثانية ١٤٠٣هـ دار المعارف – القاهرة

٢٥- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني / لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني / تحقيق محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس / ط الثانية ١٤٠٦ هـ

٢٦- دلائل النبوة / لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي / تحقيق د. عبد المعطي قلعجي / ط الأولى ١٤٠٨هـ دار الكتب العلمية دار الريان

٢٧- ذيل طبقات الحنابلة / لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي تحقيق د

عبد الرحمن بن سليمان العثيمين / ط الأولى ١٤٢٥هـ مكتبة العبيكان – الرياض

٢٨- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي / تحقيق عمر عبدالسلام السلامي / ط الأولى ١٤٢١هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت

٢٩- زاد المعاد في هدي خير العباد / لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية / تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط / ط الثالثة ١٤٠٢هـ مؤسسة الرسالة

٣٠- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد / لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي / تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد ط الأولى، ١٤١٤ هـ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

٣١- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي / لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي / تحقيق عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض / ط الأولى، ١٤١٩ هـ دار الكتب العلمية – بيروت .

٣٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها / لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني / ط الأولى مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض .

٣٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة / لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني / ط الأولى، ١٤١٢ هـ المعارف، الرياض .

٣٤- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) / لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي / تحقيق أحمد محمد شاكر / ط دار إحياء التراث العربي بيروت .

٣٥- سير أعلام النبلاء / لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي / ط التاسعة ١٤١٣هـ مؤسسة الرسالة بيروت

٣٦- السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) / لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين / دار الكتب العلمية – بيروت ط/ الثانية – ١٤٢٧هـ

٣٧- السيرة النبوية / لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري / تحقيق وضبط وشرح مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي / ط الثانية ١٣٧٥هـ / شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

وكذلك بتحقيق وتخريج همام عبد الرحيم ومحمد عبد الله أبو صعيليك / ط الأولى ١٤٠٩هـ مكتبة المنار الأردن .

٣٨- السيرة النبوية / لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي / تحقيق: مصطفى عبد الواحد / ط ١٣٩٥ هـ دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان .

٣٩- السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَويَّةِ / لأكرم ضياء العمري / ط السادسة، ١٤١٥ هـ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة .

٤٠- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية / لمهدي رزق الله أحمد / ط الثانية ١٤٢٤هـ دار إمام الدعوة الرياض .

٤١- السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (قراءة جديدة) / لإبي عمر، محمد بن حمد الصوياني ط الأولى، ١٤٢٤ هـ مكتبة العبيكان

٤٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب / عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح / تحقيق محمود الأرناؤوط / ط الأولى ١٤٠٦هـ دار ابن كثير، دمشق – بيروت

٤٣- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية / لأبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي / ط الأولى ١٤١٧هـ دار الكتب العلمية .

٤٤- شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) / لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي / ط الثانية ١٣٩٢هـ دار إحياء التراث العربي – بيروت

٤٥- الشفا بتعريف حقوق المصطفى / لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل / ط الثانية – ١٤٠٧ هـ دار الفيحاء – عمان

٤٦- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان / لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي / تحقيق شعيب الأرنؤوط / ط الثانية ١٤١٤هـ / مؤسسة الرسالة بيروت

٤٧- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) لمحمد بن إسماعيل البخاري ط الثالثة ١٤٠٧ دار ابن كثير بيروت

٤٨- صحيح سنن ابن ماجه / لمحمد بن ناصر الدين الألباني ط الأولى ١٤٠٩ مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض .
٤٩- صحيح سنن أبي داود / لمحمد بن ناصر الدين الألباني ط الأولى ١٤٠٩ مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض
٥٠- صحيح سنن الترمذي / لمحمد بن ناصر الدين الألباني ط الأولى ١٤٠٨ مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض
٥١- صفة الصفوة / لعبد الرحمن بن علي أبو الفرج ابن الجوزي / ط الثانية ١٣٩٩هـ / دار المعرفة بيروت
٥٢- الطبقات الكبرى / لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي /تحقيق: محمد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية – بيروت / ط الأولى ١٤١٠هـ وكذلك ط دار صادر
٥٣- على طريق الهجرة / لعاتق بن غيث البلادي / دار مكة للنشر والتوزيع .
٥٤- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية / لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي / تحقيق إرشاد الحق الأثري / ط الثانية ١٤٠١هـ إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان
٥٥- عمدة القاري شرح صحيح البخاري /لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى / ط دار إحياء التراث العربي – بيروت

٥٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري / لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني / تحقيق محب الدين الخطيب / ط دار المعرفة بيروت

٥٧- الفصول في السيرة لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي / تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو / ط الثالثة ١٤٠٣هـ الثالثة مؤسسة علوم القرآن

٥٨- فقه السيرة / لمحمد الغزالي / خرج أحاديث الكتاب محمد ناصر الدين الألباني / دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان

٥٩- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي بالمتقي الهندي / تحقيق بكري حياني - صفوة السقا / ط الخامسة، ١٤٠١هـ مؤسسة الرسالة

٦٠- مجموع الفتاوى / لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني / تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم / ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية / ١٤١٦هـ

٦١- المحبر لمحمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي / تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر / ط دار الآفاق الجديدة، بيروت .

٦٢- المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم / لعبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناني، الحموي الأصل،

الدمشقيّ المولد، ثم المصري، عز الدين / تحقيق سامي مكي العاني / دار البشير – عمان / ط الأولى، ١٩٩٣م

٦٣- المساجد الأثرية في المدينة النبوية / محمد إلياس عبد الغني / ط الأولى ١٤١٨هـ مطابع الرشيد بالمدينة المنورة .

٦٤- المستدرك على الصحيحين / لأبي عبد الله نحمد بن عبد الله الحاكم / تحقيق مصطفى عبد القادر عطا / ط الأولى ١٤١١هـ دار الكتب العلمية بيروت .

٦٥- المصنف / لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني / ط الثانية ١٤٠٣هـ المكتب الإسلامي بيروت .

٦٦- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية / لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني / ط الأولى ١٤١٩هـ دار العاصمة السعودية .

٦٧- المسند / للإمام أحمد بن حنبل / إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي / تحقيق شعيب الأرنؤوط / مؤسسة الرسالة

٦٨- مصادر السيرة النبوية وتقويمها / لفاروق حماده / ط الأولى ١٤٠٠هـ دار الثقافة الدار البيضاء المغرب .

٦٩- المعارف / لابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم / تحقيق ثروت عكاشة / دار المعارف القاهرة .

٧٠- معرفة الصحابة / لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني / تحقيق: عادل بن يوسف العزازي / دار الوطن للنشر، الرياض ط الأولى ١٤١٩ هـ

٧١- المعرفة والتاريخ / ليعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف / تحقيق أكرم ضياء العمري / مؤسسة الرسالة، بيروت ط الثانية، ١٤٠١ هـ

٧٢- المنتخب من كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم / للزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي / تحقيق سكينة الشهابي / مؤسسة الرسالة – بيروت ط الأولى، ١٤٠٣

٧٣- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك / جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي / تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية، بيروت ط الأولى، ١٤١٢ هـ

٧٤- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية / لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين / ط المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر .

٧٥- ميزان الاعتدال في نقد الرجال / لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي / تحقيق: علي محمد البجاوي / ط الأولى ١٣٨٢هـ دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان

٧٦- الوفا بأحوال المصطفى / لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي / تحقيق مصطفى عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ١٤٠٨هـ